الفصل الأول

الوصول والتحقيق الأول

فتح محمد باب الشقة بهدوء، دخل الصالة، وألقى نظره على المكان كله.

الهواء ثقيل قليلًا، ضوء الأباجورة يغطي الأثاث بنعومة.

ملك إبراهيم جلست على الكرسي، عيناها محمرتان، ودموعها تتساقط بلا صوت.

بجانبها، جمال أخوها، يضع يده على كتفها محاولة تهدئتها، لكنه أيضًا متوتر.

اقترب محمد بخطوات بطيئة، ثم جلس على الكرسي المقابل لهما.

ـــ أخبراني، ماذا حدث؟

ابتلعت ملك ريقها، ثم قالت بصوت مضطرب:

ـــ دخلت الشقة، وجدته في غرفة المكتب... مستلقٍ على الكرسي. اتصلنا بالإسعاف... جاءوا، وبعد الفحص قالوا إنه مات.

ثوانٍ مرت، ثم سأل محمد:

ـــ أين كنت ، ومتى كانت آخر مرة تكلمتِ معه؟

ـــ عند أختي، قام بتوصيلى إلى هناك... ثم اتصل بي من البيت وقال حضر بعض الضيوف، وأخبرني من كانوا معنا في الحفلة موجودون معه.

محمد لاحظ التوتر في كلامها، ونظر إلى جمال.

ـــ جمال، من غيرها كان موجودًا؟

جمال أومأ، صوته هادئ لكنه مشبع بالتوتر:

ـــ جارهم، الأستاذ أسامة زايد.

ـــ وصديق أحمد ، الأستاذ مازن أمين.

ـــ والحاج رضا، أحد شركائه في العمل.

ـــ ومتى وصلتِ أنتِ؟

ـــ أنا عدت قبلهم.

ـــ وما سبب الزيارة؟

ابتسم جمال ابتسامة باهتة، كأنه يروي ما يشبه الروتين:

ـــ الصلح... مع الحاج رضا. وكان هناك حديث عن إنهاء بعض الأوراق المتعلقة بالعمل.

محمد بدأ يدون الأسماء في دفتره ببطء.

رفع نظره مرة أخرى نحو ملك وجمال.

ـــ أريد أرقامهم، سأبدأ بالاتصال بهم على الفور.

جلس محمد على مكتب أحمد ، فتح دفتر الملاحظات، ثم أخذ هاتفه.

اتصل بالضيوف واحدًا تلو الآخر، سجل الإجابات بدقة، وحدد المواعيد لمجيئهم إلى مركز الشرطة.

ثم طلب محمد تفريغ كاميرات المنزل لمعرفة مدة جلوسهم، وطريقة دخولهم وخروجهم.

دخلت الأمور في نسق هادئ، كل شيء طبيعي، حديث قصير، ودقائق تمر ببطء.

تابع كل المقاطع ..

لكن خروج الحاج رضا كان أسرع قليلًا من المعتاد، وكأن هناك شيء يضغط عليه.

محمد نظر إلى دفتره، ثم إلى الغرفة كلها، وعيناه تراقبان كل حركة.

الهدوء حولهم يسود ، والتوتر يملئ الصمت بين كل كلمة وأخرى.

—

ثم نحرك وجلس على الكرسي المقابل لملك إبراهيم، ونظر إليها بعينين ثابتتين.

— هل كان أحمد يعاني من أي أمراض؟

تنفست ملك ببطء، ثم أجابت:

— نعم... بعض المشاكل في القلب.

أشار محمد إلى علبة الدواء المغلفة على الطاولة.

فتحها ببطء، وأخرج بعض الأقراص، وفحصها بعناية.

— هذا... آخر قرص؟

أومأت ملك برأسها:

— نعم، اليوم كان آخر قرص في هذه العلبة. لديه علب أخرى من هذا العلاج في الغرفة، لأنه دائم الاستخدام.

رفع محمد نظره إلى الغرفة، وأخذ يتفحصها بهدوء.

ثم لفت نظره الهاتف الموضوع على الأرض، مقفولًا.

مغلق بكلمه سر.

ـــ من فصلك ،افتحيه.

التقطت ملك الهاتف بيدين مرتجفتين، كانت محادثه واتس .

كانت الرسالة واضحة أمامهم: «هو»

فى رساله خاصه "أنا فقط" ارسلها لنفسه .

تجمد محمد للحظة،ثم أخذ نفسًا عميقًا، وحرك الهاتف قليلًا بيده.

ـــ الآن، افتحي سجل المكالمات.

تنفست ملك ثانية، وأخبرته:

ـــ آخر اتصالين كانت معي... والاتصال الآخر بمازن،

راجع ماقلت كان صحيحا .

وكلها بعد خروج الحاج رضا بوقت قصير.

حسب توقيت كاميرات المراقبه.

أومأ محمد، ودوّن المعلومات في دفتره.

ثم قال بهدوء، لكنه متوتر:

ـــ غدًا، عليكِ الحضور مع أخيك لاستكمال التحقيقات.

ـــ سأتحفظ على كل ما هو موجود على الهاتف، وعلى علبة الدواء، إلى حين إجراءات الطب الشرعي والفحص الجنائي للمكان والهاتف والدواء.

رفعت ملك نظرها إلى الهاتف ثم إلى علبة الدواء، وابتلعت ريقها، صامتة.

محمد نهض ببطء، وأخذ يجهز نفسه للخطوة التالية، صامتًا، وعيناه تتابعان كل زاوية في الغرفة

—

بداية التحقيقات :

غرفة التحقيق هادئة.

مكتب خشبي، كرسيان متقابلان، ومصباح أبيض يسلط ضوءه على منتصف الطاولة.

محمد جلس في مكانه المعتاد، ملف القضية مفتوح أمامه.

ملك إبراهيم جلست مقابله، ظهرها مستقيم على غير عادتها، يداها متشابكتان بإحكام.

نظر محمد إلى الملف، ثم رفع عينيه إليها.

— الاسم كاملًا؟

— ملك إبراهيم عبد الرحمن.

— السن؟

— ثلاثون عامًا.

دوّن محمد المعلومة، ثم تابع دون استعجال:

— الحالة الاجتماعية؟

ـــ متزوجة.

ـــ منذ متى؟

ـــ منذ أحد عشر عامًا.

رفع محمد رأسه قليلًا.

ـــ هل لديكما أبناء؟

خفضت ملك عينيها للحظة، ثم أجابت بصوت ثابت:

ـــ لا.

توقفت ثانية، ثم أضافت:

ـــ لا أنجب.

سجّل محمد المعلومة، وترك القلم فوق الورقة لحظة قصيرة.

ـــ طبيعة العلاقة بينك وبين زوجك أحمد علاء؟

تنفست ملك بعمق قبل أن تتكلم:

ـــ كانت علاقة مستقرة.

ـــ أحمد كان منشغلًا بالعمل معظم الوقت، لكنه كان حريصًا عليّ.

ـــ في الفترة الأخيرة...

توقفت، ثم أكملت:

ـــ كانت علاقتنا أفضل من أي وقت مضى.

نظر محمد مباشرة إلى وجهها.

ـــ هل وُجدت خلافات بينكما؟

هزّت رأسها ببطء.

ـــ لا.

ـــ كنت أقدّره كثيرًا، وهو كان يحترمني ويعاملني بتقدير واضح.

ساد الصمت للحظات.

محمد ترك الكلمات تستقر في المكان، ثم سأل بصوت منخفض:

ـــ هل لاحظتِ أي تغيير عليه في الأيام الأخيرة؟

ـــ توتر؟ خوف؟ قلق؟

فكرت ملك قليلًا.

ـــ كان مرهقًا.

ـــ العمل كان يضغط عليه.

ـــ لكنه كان هادئًا... ومطمئنًا.

دوّن محمد آخر جملة، ثم أغلق الملف جزئيًا

أعاد محمد فتح الملف، ثم رفع عينيه إليها مرة أخرى.

ـــ أين كنتِ وقت الوفاة؟

أجابت ملك فورًا، كأن السؤال كان حاضرًا في ذهنها منذ دخولها الغرفة:

ـــ كنت عند أختي المريضة.

دوّن محمد الإجابة، ثم سأل:

ـــ من كان معك هناك؟

ـــ زوج أختي، السيد كامل...

توقفت لحظة، ثم أضافت:

ـــ وأخي جمال.

رفع محمد نظره عن الورقة.

ـــ الطب الشرعي حدّد وقت الوفاة في التاسعة مساءً تقريبًا.

ـــ هل تواصلتِ مع زوجكِ قبل ذلك؟

ـــ نعم.

ـــ المكالمة الأخيرة كانت قريبة من التاسعة.

أشار محمد إلى الهاتف الموضوع على الطاولة.

ـــ بعد مراجعة التسجيلات، المكالمة كانت في تمام الثامنة وسبعٍ وأربعين دقيقة.

أومأت ملك.

ـــ صحيح.

ـــ المسافة بين منزل أختكِ ومنزلكم؟

ـــ أكثر من عشرين دقيقة.

سجّل محمد الرقم، ثم سأل:

ـــ أين كنتِ قبل عودته إلى المنزل؟

تنفست ملك بهدوء، ثم قالت:

ـــ كنا في حفل لأحد الأقارب.

ـــ هناك التقى بكل من زاره لاحقًا في البيت.

رفع محمد حاجبه قليلًا.

ـــ كيف كان اليوم؟

ـــ هادئًا.

ـــ الجميع كان لطيفًا معنا.

ـــ لا خلافات، ولا توتر مع أحد.

سادت لحظة صمت قصيرة.

محمد نظر إلى الملف، ثم إلى وجهها مرة أخرى، كأنه يقيس ثبات الإجابات لا الكلمات نفسها.

ـــ هل لاحظتِ عليه شيئًا غير معتاد قبل أن يوصلكِ إلى منزل أختكِ؟

هزّت رأسها ببطء.

ـــ لا.

ـــ كان طبيعيًا... أكثر هدوءًا من المعتاد.

أغلق محمد الملف بهدوء، ودفعه قليلًا إلى الأمام.

ـــ شكرًا يا سيدة ملك.

ـــ يمكنكِ الانتظار بالخارج.

نهضت ملك، عدّلت وضع حقيبتها، ثم خرجت دون أن تلتفت.

محمد بقي وحده في الغرفة.

نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط.

ثم إلى توقيت المكالمة المكتوب في الملف.

الثامنة وسبع وأربعون دقيقة.

أدار الصفحة التالية.

جمال إبراهيم ـــ الشاهد التالي.

أمسك القلم، واستعد لسؤال آخر.

– إفادة جمال إبراهيم

فُتح باب غرفة التحقيق، ودخل جمال إبراهيم.

جلس على الكرسي المقابل لمحمد، وضع يديه على ركبتيه، وحافظ على نظر ثابت.

فتح محمد الملف أمامه.

ـــ الاسم كاملًا؟

ـــ جمال إبراهيم عبد الرحمن.

ـــ السن؟

ـــ سبعة وعشرون عامًا.

دوّن محمد المعلومة، ثم سأل:

ـــ تعمل أين؟

ـــ أعمل في أحد مصانع زوج أختي، أحمد علاء.

رفع محمد رأسه.

ـــ أين كنت وقت الوفاة؟ الساعة التاسعة مساءً تقريبًا.

ـــ كنت مع أختي في منزل أختنا المريضة.

ـــ من كان معك هناك ؟

ـــ اختى ملك وزوج اختنا السيد كامل

سجّل محمد الإجابة، ثم انتقل للسؤال التالي:

ـــ ما طبيعة علاقتك بالمجني عليه؟

تنفس جمال قليلًا قبل أن يجيب:

ـــ زوج أختي، ورئيسي في العمل.

ـــ وهو أخي الكبير.

ـــ علاقتنا ممتازة، والجميع يشهد بذلك.

ـــ أنا ممتن له كثيرًا، فهو من ساعدني على بناء شخصيتي، وعملي، وأسرتي.

نظر محمد إليه مباشرة.

ـــ هل حدث أي خلاف بينكما، في العمل أو في أي مكان آخر؟

ـــ لا، أبدًا.

ـــ ما سبب وجودك في المنزل بعد عودتكم من الحفل؟

ـــ تركت ملفًا في السيارة.

ـــ اتصل بي وطلبه.

ـــ صعدت وسلمته له.

رفع محمد القلم قليلًا.

ـــ من كان موجودًا عند دخولك أو خروجك؟

ـــ عند خروجي، دخل الحاج رضا، ومازن أمين، والجار أسامة زايد.

دوّن محمد الأسماء ببطء، ثم قال:

ـــ أخبرني عن الحفل، وما جرى فيه.

مال جمال قليلًا إلى الأمام.

ـــ كان يومًا جميلًا.

ـــ تصالح أحمد مع الحاج رضا بعد عام من الخلاف الشديد.

ـــ تم الاتفاق على تقاسم الأضرار، وعودة العمل، وإغلاق جميع المحاضر.

— هل شعرت بأي شيء مختلف على أحمد عندما ذهبت إليه في المنزل؟

هز جمال رأسه.

— لا.

— كان مبتسمًا، سعيدًا.

— أخبرني أنه سينهي بعض الأوراق مع الضيوف لإكمال هذا اليوم الجميل.

— ماذا حدث بعد ذلك؟

— أخبرته أنني سأذهب.

— تمنيت له الخير، وغادرت.

أغلق محمد الملف بهدوء.

— شكرًا، أستاذ جمال.

— تستطيع الانتظار في الخارج.

نهض جمال، حيّا محمد بإيماءة خفيفة، ثم خرج من الغرفة.

محمد بقي جالسًا، نظر إلى الأسماء المكتوبة في الملف.

القلم توقف فوق اسمٍ واحد.

أسامة زايد.

تحرّك الكرسي قليلًا عندما مد يده للصفحة التالية

—

فُتح باب غرفة التحقيق مرة أخرى.

دخل رجل خمسيني، ملامحه قاسية، خطواته ثابتة.

جلس أمام محمد، وضع يده على الطاولة، ونظر مباشرة.

فتح محمد الملف.

ـــ الاسم كاملًا؟

ـــ رضا عبد الفتاح.

ـــ السن؟

ـــ خمسة وخمسون عامًا.

ـــ طبيعة العمل؟

ـــ أملك أراضي زراعية، وبعض المصانع.

دوّن محمد المعلومات، ثم رفع رأسه.

ـــ علاقتك بالمجني عليه؟

ـــ شريك عمل.

ـــ أين كنت وقت الوفاة؟ قرابة التاسعة مساءً.

أجاب دون تردد:

ـــ كنت في منزلي.

رفع محمد حاجبه قليلًا.

ـــ هل يوجد ما يثبت ذلك؟

أخرج الحاج رضا هاتفه، فتح مقطع فيديو، ومده نحوه.

شاشة تُظهر مدخل منزله، توقيت واضح.

دخوله قبل التاسعة بدقائق.

أعاد محمد الهاتف إليه، ثم سأل:

ـــ حدثني عن الخلاف القديم بينك وبين أحمد علاء.

تنفّس الحاج رضا بعمق.

ـــ حريق هائل في إحدى الأراضي.

ـــ خسارة صفقة تتجاوز المليون جنيه.

ـــ دفعت ما يقارب نصف مليون خسائر.

ـــ كلٌّ منا كان يتهم الآخر بأن ما حدث بفعل فاعل.

ـــ ولماذا استمر الخلاف كل هذه المدة؟

ـــ كان يرفض مقابلتي.

ـــ ذهبت إليه أكثر من مرة.

ـــ بعدها اتجهنا للقضاء.

ـــ هل سبق وهددته؟

نظر الحاج رضا مباشرة.

ـــ لا.

ـــ وإن حدث كلام قاسٍ، فكان في وقت غضب.

أومأ محمد ببطء.

ـــ تظهر الكاميرات خروجك بشكل سريع

من المنزل وانت اخر من خرج.؟

ـــ نعم كنت اخر من خرج وخرجت مسرعا لاتصال هاتفى بضيف فى المنزل وهذا هى الهاتف وعاد الاتصال

ـــ كيف كان احمد عند مغادرتك كاخر شخص

هل كان مريض او متعب ملامح وجهه .؟

ـــ لا بالعكس ، كان مبتسم هادئ الوضع كان طبيعى جدا حتى مغادرتى .

ـــ ماذا عن الحفل؟

ـــ تصالحنا.

ـــ كان يومًا جميلًا، بشهادة الجميع.

ـــ وقعنا عقدًا جديدًا لضمان حقي.

أخرج أوراقًا من حقيبته، وضعها أمام محمد.

ـــ هذا العقد.

ـــ وهذا شيك كتبه أحمد بخط يده، عوّضني فيه عن كل الخسائر.

قلب محمد الأوراق بهدوء.

ـــ كُتب أمام من؟

ـــ أمام مازن أمين.

ـــ والجار أسامة زايد.

ـــ لماذا ذهبت إلى منزله بعد الحفل؟

ـــ أنهى الأوراق، وطلب مني أخذها.

ـــ قلت له أستلمها صباحًا.

ـــ قال إنه سيذهب للعمل، وقد يسافر لإنهاء بعض الأعمال.

ـــ تفعيل العقد في الشهر العقاري كان ضروريًا لبدء العمل، فذهبت.

ـــ ولماذا حضر مازن أمين وأسامة زايد؟

ـــ طلب وجودهما كشهود.

ـــ هذا كل ما أعلمه.

سادت لحظة صمت.

محمد أغلق الملف ببطء.

ـــ شكرًا لك، حاج رضا.

ـــ تستطيع الانتظار في الخارج.

نهض الحاج رضا، جمع أوراقه، ثم خرج.

محمد بقي وحده.

نقل نظره من العقد، إلى الشيك، إلى الأسماء المدوّنة في الملف.

بقى إسمين دون استجواب.

مازن أمين.

أسامه زايد.

مدّ يده للملف التالي.

ثم فُتح باب غرفة التحقيق، ودخل مازن أمين.

خطواته سريعة قليلًا، نظره يتحرك في المكان قبل أن يستقر على الكرسي المقابل لمحمد.

جلس، عدّل وضعه، ثم شبك يديه فوق الطاولة.

فتح محمد الملف.

ـــ الاسم كاملًا؟

ـــ مازن رجب أمين.

ـــ السن؟

ـــ أربعون عامًا.

ـــ العمل؟

ـــ مدير مبيعات في إحدى الشركات.

دوّن محمد المعلومة، ورفع رأسه.

ـــ علاقتك بالمجني عليه؟

ـــ صديق العمر.

لاحظ محمد حركة خفيفة في يديه، توترًا لا يختفي.

ـــ أين كنت وقت الوفاة؟ قرابة التاسعة مساءً.

أجاب مازن بسرعة:

ـــ كنت بأحد المتاجر.

ـــ كنت بصحبة صديقين.

ـــ من هما؟

ـــ أحمد فؤاد، وباسم النجار.

ـــ كنا في مكان عام من قبل التاسعة حتى الثانية عشرة.

دوّن محمد الأسماء.

ـــ هل يمكن استدعاؤهما للشهادة؟

ـــ بالطبع.

ـــ هما تحت أمرك، وصاحب المقهى أيضًا.

ـــ المكان به كاميرات.

ـــ سنتأكد من ذلك.

توقف محمد لحظة، ثم سأل:

ـــ ما سبب وجودك في منزل أحمد بعد الحفل؟

ـــ طلب مني الحضور لإنهاء العقد.

ـــ وكان ذلك بعد الصلح مع الحاج رضا.

ـــ كيف كان حال أحمد في المنزل؟

ـــ هل ظهر عليه تعب، أو ألم، أو حزن؟

حرّك مازن كتفيه قليلًا.

ـــ كان مبتسمًا.

ـــ الأمور كانت تسير بشكل طبيعي جدًا.

ـــ هل حدث بينكما أي خلاف؟

ـــ لا.

ـــ أحمد صديق عمري، ووقف إلى جواري كثيرًا.

لاحظ محمد أن نبرة الصوت ثابتة، لكن الجسد متوتر.

ـــ من آخر من غادر المنزل؟

ـــ أنا غادرت، ولم يتبقَّ سوى الحاج رضا.

ـــ أسامة زايد كان معنا وغادر قبلي.

ـــ جمال كان موجودًا قبلنا جميعًا، وغادر بعد وصولنا مباشرةً.

ـــ ماذا حدث في الحفل؟

ـــ تصالح أحمد مع الحاج رضا.

ـــ اتفقا على العقد الجديد.

ساد صمت قصير.

محمد أغلق الملف ببطء.

ـــ شكرًا، يا أستاذ مازن.

ـــ انتظر في الخارج.

نهض مازن، تنفّس بعمق، ثم خرج من الغرفة.

محمد بقي جالسًا.

قلب الصفحة التالية، ودوّن ملاحظة صغيرة بقلمه:

الإجابات منطقية... التوتر حاضر.

رفع رأسه، ونظر إلى الباب مرة أخرى.

أسامة زايد ـــ الدور الأخير..

-

دخل أسامة زايد غرفة التحقيق.

رجل في السابعة والأربعين من عمره، ملامحه ثابتة، صوته متزن.

فتح محمد الملف.

ـــ الاسم؟

ـــ أسامة زايد.

ـــ السن؟

ـــ سبعة وأربعون عامًا.

ـــ العمل؟

ـــ موظف كبير بإحدى المصالح الحكومية.

دوّن محمد، ثم رفع رأسه.

ـــ علاقتك بالمجني عليه؟

ـــ جار، وشريك سابق.

ـــ ما سبب فضّ الشراكة؟

ـــ ديون مالية.

ـــ أحمد تحمّلها، وحلّ الأزمة، وأخذ المصنع.

ـــ كان ذلك بالتراضي، وحصلت على ما تبقى من حقي.

ـــ لماذا كنت في الحفل؟

ـــ دعوة من أحمد.

ـــ ولماذا دعاك؟

ـــ في أغلب المناسبات ندعو بعضنا.

ـــ وكان الحفل للصلح مع الحاج رضا، شريكنا السابق.

ـــ أتى بي كشاهد، لعلاقتي الجيدة بهما.

ـــ ما رأيك فيما حدث في الحفل؟

ـــ الوضع كان جميلًا.

ـــ طبيعيًا.

ـــ صلح ونفوس صادقة.

ـــ لماذا كنت في منزل أحمد بعد الحفل؟

ـــ اتفقنا بعد الحفل على توقيع العقود في المنزل.

ـــ أحمد أصرّ، لارتباطه بأعمال في صباح اليوم التالي.

ـــ وقد يسافر للخارج إن اضطرّ الأمر.

ـــ ألم يحدث خلاف بينك وبينه بسبب أزمة المصنع القديمة؟

ـــ أبدًا.

ـــ أعترف أنها كانت تجربة صعبة وخسارة كبيرة لي.

ـــ لكن أحمد شخص طيب.

ـــ فعل ذلك بدلًا من أن أسجن.

ـــ تحمّل هو الأضرار، وكل الأوراق موجودة.

أغلق محمد الملف.

ـــ شكرًا، يا أستاذ أسامة.

ـــ تستطيع الانتظار في الخارج.

خرج أسامة.

وبهذا انتهى ملف التحقيق مع جميع الحاضرين.

بعد وقت قصير، وصل ملف الطب الشرعي كاملاً .

التقرير النهائى.

فتحه محمد ببطء.

الوفاة:

التاسعة مساء..

سبب الوفاة:

تأثير علاج القلب.

المادة الفعالة للعلاج أدت إلى الوفاة.

الوفاة طبيعية لأسباب طبية.

أغلق الملف.

بقي صامتًا لدقائق.

ثم رفع رأسه، وضغط زر الاستدعاء.

دخل الجميع إلى الغرفة.

وقفوا في صمت مترقب.

قال محمد بنبرة رسمية:

— بناءً على تقرير الطب الشرعي،

— وعدم وجود شبهة جنائية ظاهرة،

— أُصدر أمرًا بإطلاق سراح الجميع.

توقف لحظة، ثم أضاف:

— مع التحفظ على هاتف المتوفى،

— وعلبة الدواء،

— لحين استكمال الإجراءات القانونية.

نظر إلى ملك.

— ستبقين معنا لبعض الوقت،

— لاستكمال بعض الإجراءات.

ساد الصمت.

الملف أُغلق...

لكن القلق لم يُغلق.

—

الفصل الثانى :

جلس محمد قبالة ملك.

كانت عيناها متورمتين، ويداها متشابكتين في حجرها.

فتح الملف ببطء، ثم رفع نظره إليها.

ـــ علمنا أن أحمد له أخ واحد يُدعى فيصل.

هزّت رأسها.

ـــ نعم.

ـــ عائد من السفر منذ أيام.

ـــ هل حضر الحفل؟

ـــ نعم، كان معنا.

ـــ وغادر قبل أن ينتهي.

ـــ إلى أين ذهب؟

ـــ سافر إلى القاهرة.

ـــ هو طبيب، وذهب لإنهاء إجراءات استلام عمله.

دوّن محمد ملاحظة قصيرة.

ـــ متى غادر بالتحديد؟

ـــ قبل نهاية الحفل بأكثر من ساعة.

توقّف لحظة، ثم سأل:

ـــ هل كان هناك تواصل بينه وبين أحمد بعد مغادرته؟

ـــ نعم.

ـــ أحمد اتصل به قبل نهاية الحفل بنصف ساعة.

ـــ كان يريد أن يتأكد أنه وصل إلى الحافلة، وأنه في طريقه إلى القاهرة.

ـــ اطمأن عليه، وأنهى الاتصال.

رفع محمد رأسه.

ـــ كيف علمتِ بتفاصيل الاتصال؟

ـــ أحمد كان معي طوال الحفل حتى نهايته.

ـــ سمعت المكالمة كاملة.

سادت لحظة صمت.

أغلق محمد الملف، ثم فتح هاتف أحمد الموضوع على الطاولة.

ـــ ما رأيك في الرسالة الأخيرة التي أرسلها أحمد لنفسه على الواتساب؟

ارتبكت ملك.

ـــ لا أدري.

ـــ لا أفتح هاتفه، ولا أعرف طريقة استخدامه لتلك المحادثة.

ـــ ربما كان يحتفظ بمعلومات هناك.

ـــ أو بدأ في كتابة شيء ولم يُكمله.

نظر محمد إلى الشاشة.

ـــ الرسالة أُرسلت قبل الوفاة بلحظات.

ـــ أقل من خمس دقائق.

خفضت ملك عينيها.

ـــ لا أستطيع تفسير ذلك.

قال محمد بهدوء:

ـــ افتحي الهاتف، وادخلي إلى ملف الصور، من فضلك.

ترددت لحظة، ثم تناولت الهاتف.

فتحت الصور.

تغيّر وجهها فجأة.

ـــ هذه... لقطة شاشة.

مال محمد للأمام.

كانت لقطة شاشة للمحادثة نفسها.

المحادثة التي تحمل اسم: أنا فقط.

قالت ملك بصوت منخفض:

ـــ الهاتف يلتقط لقطة شاشة إذا ضغط المستخدم مطولًا على الشاشة.

تأمل محمد التاريخ.

ـــ التوقيت بعد الرسالة بدقيقة واحدة.

لم يعلّق.

أغلق الهاتف بهدوء، ثم أعاده إلى مكانه.

ـــ شكرًا يا أستاذة ملك.

نهض واقفًا.

ـــ إذا تواصل معكِ شقيق أحمد، فيصل،

ـــ أبلغيه أنني أريد مقابلته في أقرب وقت.

أومأت ملك بصمت.

خرج محمد من الغرفة،

والصورة ما زالت معلقة في ذهنه،

ثابتة، صامتة،

وتقول أكثر مما ينبغي.

ـــ

رُفع الملف إلى النيابة.

اطلعت على تقرير الطب الشرعي، وعلى معاينة الجثمان، وعلى تقارير المباحث كاملة.

صدرت تصاريح الدفن.

سُجِّلت الواقعة كحالة وفاة طبية.

أُغلق الملف.

عاد كل شيء إلى سكونه الرسمي،

ذلك السكون الذي لا يطمئن أحدًا.

قطع فيصل سفره فور علمه بوفاة أخيه.

وصل قبل الجنازة بساعات.

ملامحه متعبة، شاحبة،

وعيناه لا تبحثان عن أحد،

كأنهما تفتشان عن تفسير.

في ساحة العزاء حضر الجميع.

ملك.

جمال.

الحج رضا.

مازن أمين.

أسامة زايد.

وجوه مألوفة،

وصمت ثقيل،

وهمسات قصيرة تنتهي سريعًا.

بعد انتهاء مراسم العزاء،

اقتربت ملك من فيصل.

ـــ المباحث ترغب في مقابلتك.

ـــ رئيس المباحث... اسمه محمد.

ـــ تواصل معنا، ويريد الحديث معك.

نظر إليها دون دهشة.

ـــ متى؟

ـــ في أقرب وقت.

خرج الاثنان معًا.

السيارة تسير ببطء،

والمدينة تمر من حولهما بلا معنى.

قال فيصل بعد صمت طويل:

ـــ سأستدعي هبة الله.

التفتت إليه ملك.

ـــ هبة الله؟

ـــ قريبتنا.

— صحفية معروفة.

— تعمل في ملفات جرائم القتل.

— لا تترك قضية إلا وتغوص فيها حتى النهاية.

— انا طبيب أريد الإطلاع على التقرير الطبي.

شدّت ملك قبضتها.

— ولماذا؟

— لأتأكد.

— أريد أن أعرف أن ما حدث لأحمد سببه الدواء فقط.

— أثر علاجي.

— لا شيء آخر.

تنفست ملك بعمق.

— فيصل...

— لا تجعل العاطفة تقودك.

— إثارة الشك الآن قد تفتح أبوابًا لا تُغلق.

— وقد تؤذي سمعة أحمد الطبية، واسمه، وتاريخه.

نظر إليها طويلاً.

— لن أفعل شيئًا خارج القانون.

— كل شيء سيكون وفق الإجراءات.

— في سرية تامة.

— فقط... ليرتاح قلبي.

لم تُجب.

اكتفت بالنظر إلى الطريق.

وفي مكان آخر،

كان ملف أحمد علاء موضوعًا على مكتب محمد.

مغلقًا.

مختومًا.

لكن لم يكن منسيًّا.

تواصل فيصل مع محمد في اليوم التالي.

عرّف بنفسه بهدوء، وطلب لقاءً مباشرًا.

لم يتردد محمد، وحدد الموعد في مكتبه.

دخل فيصل.

جلس مستقيمًا، عيناه ثابتتان، وصوته منخفض.

بدأ الحديث بنفسه.

— أريد رأيك يا سيادة المقدم... بعيدًا عن الأوراق.

سكت محمد لحظة، ثم قال:

ـــ الدائرة المحيطة بأخيك منذ الحفل وحتى لحظة الوفاة لم تخرج عن نفس الأشخاص.

ـــ راجعنا كل شيء.

ـــ كل واحد منهم يملك دليلًا على وجوده خارج المكان وقت الوفاة.

ـــ شهادات، تسجيلات، مكالمات، كاميرات.

ـــ لا ثغرة زمنية واضحة.

هزّ فيصل رأسه ببطء.

ـــ لكنهم نفس الأشخاص.

ـــ نعم،

ـــ وهذا ما يجعل القضية ثقيلة رغم بساطتها الظاهرة.

نظر محمد إليه مباشرة.

ـــ حدثني عن علاقتك بأخيك.

تنفّس فيصل، ثم قال:

ـــ أحمد كان ينفق عليّ.

ـــ هو من أرسلني للدراسة بالخارج.

ـــ هو من أصر أن أكمل تعليمي.

قال محمد بهدوء:

ـــ نعلم ذلك.

ـــ ونعلم تحركاتك كاملة خلال السنوات الماضية.

لم يتغير وجه فيصل.

ـــ علاقتنا كانت أخوية.

ـــ لم تكن مثالية.

ـــ أحمد عملي جدًا.

ـــ قليل الكلام.

ـــ كل حديثه عن العمل والتعلم والانضباط.

سأله محمد:

ـــ والميراث؟

ساد صمت قصير.

ـــ أحمد هو الوصي.

ـــ والمسؤول عن كل شيء.

ـــ أنا من وافق على ذلك.

ـــ لم أكن مؤهلًا وقتها.

أخرج محمد الهاتف من درج مكتبه.

ـــ ماذا عن رسالة الواتس؟

ـــ ولقطة الشاشة؟

تناول فيصل الهاتف، قرأ الرسالة، ونظر إلى الصورة طويلاً.

ـــ أنا من التقط الصورة.

ـــ كانت أول لحظة صلح حقيقية بعد سنوات.

ـــ التقطتها كعربون اتفاق.

ـــ أحمد ابتسم، وقال: سأجعلها خلفية لهاتفي، ليعرف الجميع سعادتي بهذا اليوم.

رفع عينيه.

ـــ أخبرني أحمد من قبل أنه يستخدم هذه المحادثة أحيانًا لتسجيل ملاحظات سريعة.

ـــ مواعيد.

ـــ نقاط عابرة.

ـــ ثم يحذفها.

ـــ لا أعرف ماذا كان يقصد هذه المرة.

أنهى محمد اللقاء بعد حوار طويل.

خرج بانطباع واضح:

فيصل لا يعرف شيئًا عن تفاصيل عمل أخيه.

ولا عن علاقاته الأخيرة.

ولا حتى عن أسراره اليومية.

أحمد كان قد أغلق دائرته على نفسه.

وأثناء اللقاء،

فُتح باب المكتب.

دخلت امرأة بثبات.

أخرجت كارنيه الصحافة.

— هبة الله...

— صحفية.

نظرت إلى محمد مباشرة.

— قريبة أحمد علاء... وقريبة فيصل.

— أريد الاطلاع على ملف القضية.

— مجرد اطمئنان.

تحدث محمد بهدوء.

ذكّرها بأن القضية محفوظة.

وأن الإجراءات انتهت.

لم تتراجع.

تحدثت بعقل بارد، دون ضغط أو تهديد.

بعد حوار طويل،

وافق محمد.

سلّمها نسخًا ضوئية من بعض أقوال الشهود،

وتقرير الطب الشرعي،

وأجزاء من ملف التحقيق.

ـــ هذا كل ما يمكنني تقديمه.

شكرته هبة الله.

خرجت.

لحق بها فيصل.

اتجها معًا نحو المنزل...

حيث كانت ملك تنتظر،

دون أن تدري أن الهدوء الذي تعيشه

ليس سوى بداية اضطراب طويل.

ـــ

دخلوا المنزل في صمت.

رحبت بهم ماك .

هبه الله سبقتهم بخطوتين، ثم جلست قرب الطاولة الصغيرة في غرفة المعيشة.

الهواء ساكن، والبيت يحتفظ برائحة أحمد.

جلست هبة الله وفتحت الملف.

بدأت تقرأ أقوال الشهود واحدة تلو الأخرى.

عيناها تتحركان ببطء، تتوقفان عند كل كلمة، تعيدان القراءة دون تعليق.

فيصل جلس إلى جوارها، أمسك تقرير الطب الشرعي.

قرأه من أوله إلى آخره، ثم عاد إلى الفقرة الخاصة بتأثير الدواء.

توقف عند التوقيت، عند الجملة القصيرة التي تحدد زمن التفاعل داخل الجسد.

رفعت هبة رأسها.

ـــ ما رأيك يا ملك...

ـــ لو افترضنا وجود جريمة، من أقرب شخص يثير شكك؟

ترددت ملك لحظة، ثم قالت بصوت منخفض:

ـــ الحج رضا.

ـــ إن كان هناك قتل... فهو الأقرب.

نظرت هبة إليها مباشرة.

ـــ لماذا؟

ـــ خروجه من المنزل كان مختلفًا.

ـــ فيه استعجال أربكني.

ـــ ومع ذلك...

ـــ اتصل بي أحمد بعد خروجه بعشر دقائق.

ـــ وتوفى بعد المكالمة بنحو نصف ساعة.

تدخل فيصل بهدوء، وهو يشير إلى التقرير:

ـــ التقرير يقول إن مادة العلاج تعمل خلال نصف ساعة كاملة.

ـــ إما أنه تناولها بعد أن أنهى الاتصال معك...

ـــ أو قبله لاشئ يقول غير ذالك.

صمتت هبة، ثم سألت:

ـــ هل شاهدتِ تسجيل الخروج؟

أومأت ملك.

فتحت التسجيل.

ظهر الحج رضا وهو يغادر بخطوات سريعة، دون توقف، دون التفات.

قالت ملك:

ـــ هذا ما يقلقني.

أغلقت هبة الملف، ونهضت.

ـــ مفاتيح مكتب أحمد...

ـــ أين هي؟

قدمتها لها ملك دون سؤال.

دخلت هبة غرفة المكتب.

فتحت الدرج.

أخرجت ملف الأوراق.

قلبته صفحة صفحة.

العقد في المنتصف.

توقيع أحمد.

توقيع مازن.

توقيع أسامة.

توقفت عند الصفحة الأخيرة.

رفعت رأسها ببطء.

ـــ توقيع الحج رضا غير موجود.

اقترب فيصل.

نظر إلى الورقة طويلاً.

قالت هبة بصوت ثابت:

ـــ هذا اللقاء لم ينتهِ كما قيل لنا.

ـــ هناك تفصيلة ناقصة.

ـــ وما حدث في هذا المكتب يحتاج أن يُعرف بالكامل.

ساد الصمت.

وفي قلب البيت،

بدأت أول شرارة قلق حقيقي.

ـــ

دخل جمال على عجل،

وعندما رأهم ..

صارت ملامحه قلقة، وصوته منخفض.

ـــ جئت للاطمئنان عليكِ.

رفعت ملك رأسها، وعيناها ممتلئتان بإرهاق ثقيل.

ـــ الحمد لله أنك أتيت.

توقف عند باب غرفة المكتب.

رأى فيصل، وهبة الله، والأوراق المفتوحة، والعقد على الطاولة.

ـــ ما الذي يحدث؟

بادرت هبة الله بنبرة هادئة حازمة:

ـــ أرجوك...

ـــ أخبرنا بالتفصيل عمّا رأيته يوم الاجتماع.

ـــ كل شيء، دون اختصار.

تردد جمال.

ـــ ولماذا؟

تقدمت ملك خطوة.

ـــ سنشرح لك لاحقًا.

ـــ فقط تحدّث.

تنفّس جمال بعمق، ثم قال:

ـــ أحمد...

ـــ أحمد كان مضطربًا قليلًا.

رفعت هبة الله رأسها بسرعة.

ـــ مضطربًا؟

ـــ في التحقيق قلت إن حالته طبيعية.

أكمل جمال، محاولًا ترتيب كلماته:

ـــ لم يكن اضطراب خوف أو انفعال.

ـــ كان تفكيرًا.

ـــ سألته عن السبب، ابتسم وقال: لا شيء.

ـــ ثم قال بهدوء:

ـــ الحج رضا سيكلّفني كثيرًا.

ـــ هو يعلم أن له حقًا،

ـــ لكن الحق تضاعف،

ـــ وأنا أريد العمل أن يستمر.

سادت لحظة صمت.

قالت هبة الله:

ـــ لماذا لم تذكر هذا من قبل؟

أجاب جمال بسرعة، وكأنه يدافع عن نفسه:

ـــ لأنني لم أره أمرًا خطيرًا.

ـــ بعد ذلك ابتسم،

ـــ وتحدث مع ملك في الهاتف،

ـــ وكان صوته طبيعيًا.

ـــ وعند وصولهم كنت أغادر.

ـــ صافحتهم جميعًا.

ـــ خرجت دون شعور مقلق.

تقدّم فيصل خطوة.

ـــ العقد لم يُوقَّع.

ـــ تقول إن هناك قلقًا،

ـــ وتغيّرًا في الكلام،

ـــ وأحداث ناقصة.

نظر إلى جمال مباشرة.

ـــ هناك تفاصيل غائبة.

خفض جمال رأسه.

أخرجت هبة الله هاتفها ببطء.

نظرت إلى الشاشة، ثم رفعت عينيها نحوهما.

ـــ لديّ ما سأفعله.

لم تضف كلمة أخرى.

وفي الغرفة،

صمت الجميع وكأن الشك قد دخل فى قلوب الجميع.

-

الفصل الثالث:

خرجت هبة الله وحدها.

أغلقت الباب خلفها بهدوء، كأنها تخشى أن توقظ شيئًا نائمًا داخل البيت.

وقفت لحظة عند العتبة، ثم التفتت إلى فيصل.

ـــ لا تغادر الآن.

ـــ دع كل شيء يبدو هادئًا.

سألها بنبرة خافتة:

ـــ لماذا؟

اقتربت خطوة، وخفّضت صوتها:

ـــ جمال يخبئ شيئًا.

ـــ لا أعرف ما هو بعد...

ـــعليك ان تبقى بهدوء وتراقب وسنعرف..

ثم استدارت وغادرت.

سارت في الشارع بخطوات ثابتة.

لم تنظر خلفها.

كان اتجاهها واضحًا،

كأنها اختارته قبل أن تخرج من البيت.

ـــــــ

في الجهة الأخرى من المدينة،

كان محمد يجلس في مكتبه وحده.

الملف أمامه.

مفتوح.

الأوراق مرتبة بعناية،

لكن عقله يعيد ترتيبها بطريقته الخاصة.

قرأ تقرير الطب الشرعي مرة أخرى.

قرأ أقوال الشهود.

توقف عند التوقيتات.

ثم عاد إلى الصورة.

لقطة الشاشة.

قرّب الهاتف من وجهه.

دقّق في التفاصيل.

الوجوه.

الوقفة.

المسافات.

شيء ما شد انتباهه.

توقف عند جمال.

نظرته.

زاوية عينيه.

تركيزها.

لم تكن نظرة عابرة.

كانت مشدودة.

معلّقة بأحمد أكثر من اللازم.

خفض محمد الهاتف قليلًا.

شبك أصابعه.

تنفّس ببطء.

— هناك شيء لا أراه بعد.

———

وصلت هبة الله إلى العمارة.

بناية قديمة نسبيًا،

واجهة صامتة،

وشرفات مغلقة.

ضغطت الجرس.

فتحت زوجة الحج رضا الباب.

عرّفت هبة نفسها بهدوء.

لم تذكر صحافة ولا تحقيق.

قالت فقط: قريبة أحمد علاء.

أُدخلت إلى غرفة الاستقبال.

جلست.

نظرت حولها.

البيت منظم.

هادئ أكثر من اللازم.

— الحج رضا في الطريق،

— سيعود بعد قليل.

ابتسمت هبة.

— سأنتظره.

جلست في صمت.

عيناها تتحركان ببطء في المكان،

كأنها تبحث عن أثر لا يُرى.

وفي مكانين مختلفين،

بدأ الخيط يضيق.

-

وضعت زوجة الحج رضا كوب الشاي أمام هبة الله.

شكرتها بابتسامة خفيفة.

لم تمضِ دقائق حتى فُتح الباب.

دخل الحج رضا.

رحّب بها، وجلس مقابلها.

ـــ تحت أمركِ.

بدأت هبة الحديث بهدوء محسوب:

ـــ جئت لأفهم فقط.

ـــ ما الذي كان لك عند أحمد؟

ـــ العقد لم يُمضَ...

ـــ والمشكلة، على ما يبدو، لم تنتهِ.

تغير وجه الحج رضا قليلًا.

تردد قبل أن يتكلم.

ـــ رحمه الله...

ـــ لا يجوز إلا الرحمة.

سألها بنبرة حذرة:

ـــ من طلب منكم هذا؟

أجابت دون تردد:

ـــ أنا، وفيصل، وملك زوجته.

ـــ نتابع ما تبقى من التزامات أحمد.

ـــ ونعلم أن لك عنده حقًا...

ـــ هذا ما قاله لنا.

ابتسم الحج رضا بسخرية قصيرة.

ـــ ولماذا لم يقل لي هذا؟

صمت لحظة، ثم أكمل:

ـــ خرجت من عنده حزينًا.

ـــ لم أتوقع أن يكون الصلح صوريًا.

ـــ أخبرني يومها أنه غير قادر على سداد الخسائر الآن.

ـــ وأن عليّ تحمّلها في البداية.

ـــ وإن رفضت...

ـــ أكون أنا من أوقف الصلح.

ـــ وقد تنازلت بالفعل عن كل القضايا.

ـــ ولم يعد هناك ما يثبت حقي.

تابعته هبة بعين ثابتة.

ـــ كيف انتهى الحوار بينكما ذلك اليوم؟

أجاب بصوت منخفض:

ـــ بهدوء.

ـــ رفضت شروطه.

ـــ وأخبرته أنني لن أعود إليه

ـــ إلا إذا وافق على ما طلبته.

سكت.

لاحظت هبة أن حديثه يخرج بعفوية،

لكن الكلمات لا تتطابق مع ما ورد في التحقيقات.

لم تسأله عن هذا التناقض.

غيّرت المسار.

ـــ وحقك الآن؟

تنفّس الحج رضا بعمق.

ـــ بعد وفاة أحمد...

ـــ لا أرغب في شيء.

عند نطق الكلمة الأخيرة،

توتر.

تحركت يداه.

انخفض صوته.

رفعت هبة رأسها.

ـــ هل أنت بخير؟

أجاب بسرعة:

ـــ لا شيء.

نهضت بهدوء.

ـــ أشكرك على وقتك.

غادرت المنزل،

وقلبها مثقل بإجابة ناقصة.

ـــــــ

في الوقت ذاته،

خرج محمد من مكتبه.

طلب تحريات موسعة من داخل شركة أحمد.

ملفات العمل.

الديون.

العقود.

العلاقات الداخلية.

ثم طلب تقريرًا كاملًا عن جمال.

تحركاته.

دوره الفعلي.

وضعه المالي.

عاد إلى مكتبه.

نشر الأوراق أمامه.

بدأ يرسم خريطة.

خطوط تتقاطع.

أسماء تتكرر.

وتفصيلة صغيرة،

تضغط في ذهنه أكثر من غيرها.

الحقيقة لم تعد بعيدة...

لكنها لم تظهر بعد.

-

في صباح اليوم التالي،

وُضع التقرير على مكتب محمد.

فتح الملف ببطء.

قرأ السطور واحدة تلو الأخرى.

توقف عند فقرة، ثم عاد إليها مرة ثانية.

علاقة جمال داخل العمل مع أحمد لم تكن جيدة.

لا سبب واضح.

لا خلاف مُعلن.

بعض العاملين قالوا إن جمال ارتكب خطأً جسيمًا.

آخرون قالوا إنه تعمّد... واختلس.

لكن أحمد أغلق الموضوع بالكامل.

أنهى الأمر دون تحقيق داخلي.

دون محاضر.

دون تصعيد.

إفادة أخرى أشارت إلى أن جمال كان على وشك تقديم استقالته.

الاستقالة لم تُقدَّم.

تدخلت أخته... زوجة أحمد.

وانتهى كل شيء فجأة.

أغلق محمد الملف.

وضع يده على المكتب.

ضغط بأصابعه ببطء.

ـــ من جمال...

ـــ تبدأ خيوط الحقيقة

-

في مكان آخر،

كانت هبة الله في موعد مع فيصل.

جلسا متقابلين.

ملامح فيصل متوترة،

وعيناه تبحثان عن تفسير لا يأتي.

قال فيصل بهدوء:

ـــ جمال فى المنزل أمس تحدث بكلمات غريبة.

ـــ بعد أن تأكد أنني إبتعدت

ـــ تحدث مع ملك على انفراد.

توقف لحظة، ثم اكمل:

ـــ قال لها إنه يحتاج مساعدتها لإنهاء الأمر.

ـــ كلمات مبهمة.

— أوراق...

— أموال.

شدّ فيصل فكه.

— لم أفهم شيئًا.

— ملك طلبت منه أن يصمت.

— قالت له إننى موجود.

— وإن عليه ألا يتكلم بكلمات غريبة.

سكت فيصل لحظة.

ثم قالت هبة:

— قابلت الحج رضا.

— حديثه متناقض.

— حتى شعورى إتجاهه متناقض.

نظر إليها بتركيز.

— كيف؟

— يتكلم بتلقائية شخص بريء.

— وفي الوقت نفسه...

— يخفي شيئًا.

ـــ العقد لم يُمضَ.

ـــ أخوك رفض سداد الخسائر فورًا.

ـــ طلب منه أن يتحملها في البداية،

ـــ ثم يُعاد النظر لاحقًا.

تنفّس فيصل بعمق.

ـــ شبكة...

ـــ هناك شبكة خفية كانت تُحكم حول أحمد.

رفع نظره إليها.

ـــ لكن كيف؟

ـــ التقرير الطبي واضح.

ـــ الوفاة بسبب القلب.

ـــ وبسبب العلاج.

لم تجبه هبة مباشرة.

قالت فقط:

ـــ أحيانًا...

ـــ الحقيقة لا تكذب،

ـــ لكنها لا تقول كل شيء.

سكتا معًا.

وفي المسافة بين الصمتين،

بدأت الشكوك تأخذ شكلها الأول.

-

تحرّك محمد بهدوء نحو شركة أحمد.

لم يُخطر أحدًا.

لم يطلب تجهيزًا.

دخل كأنه زيارة عابرة.

صعد إلى مكتب جمال.

جلس على المقعد المقابل للمكتب الفارغ.

انتظر.

مرّت دقائق بطيئة.

ثم فُتح الباب بعجلة.

دخل جمال مسرعًا.

توقف فجأة.

محمد كان هناك.

اتسعت عينا جمال.

ارتبك.

سقط أحد الملفات من يده.

تناثرت أوراقه على الأرض.

قال محمد بصوت ثابت:

ـــ اهدأ يا أستاذ جمال.

انحنى جمال ليلتقط الملف.

يداه ترتجفان.

ـــ لم أكن أعلم أنك ستأتي.

أشار محمد إلى الكرسي.

ـــ اجلس.

ـــ جئت لأسألك بعض الأسئلة فقط.

جلس جمال ببطء.

حاول أن يبتسم.

فشل.

سند محمد ظهره إلى المقعد.

-

قال جمال، وهو يحاول أن يبدو طبيعيًا:

ـــ تفضل يا سيدي... بماذا ترغب أن تسألني؟

نظر محمد إليه نظرة ثابتة، لا تحمل اتهامًا ولا ودًّا، ثم قال:

ـــ في الحقيقة...

ـــ أنا لا أبحث عن إجابات كبيرة.

ـــ فقط أريد أن أفهم بعض الأمور الغامضة.

صمت لحظة، ثم بدأ بهدوء:

ـــ علاقتك بأحمد داخل العمل...

ـــ لم تكن جيدة.

رفع جمال حاجبيه قليلًا.

ـــ من قال ذلك؟

ـــ التحريات.

ـــ أكثر من شخص.

تنحنح جمال.

ـــ أي بيئة عمل فيها خلافات.

هزّ محمد رأسه.

ـــ الخلافات لا تجعل صاحبها على وشك الاستقالة.

تغير وجه جمال قليلًا.

ـــ كانت لحظة ضغط... وعدت عنها.

ـــ بعد تدخل أختك.

لم يجب جمال فورًا.

قال محمد وكأنه يدوّن ملاحظة ذهنية:

ـــ أحمد أغلق موضوعًا يخصك داخل الشركة.

ـــ دون تحقيق.

ـــ دون تصعيد.

نظر جمال إلى يديه.

ـــ كان سوء تفاهم.

اقترب محمد خطوة واحدة فقط.

ـــ سوء تفاهم...

ـــ أم خطأ؟

رفع جمال رأسه بسرعة.

ـــ خطأ غير مقصود.

ـــ ولماذا لم يُسجَّل؟

سكت جمال.

غير محمد زاوية الحديث بسلاسة:

— يوم الحفل...

— ماذا حدث نظراتك لاحمد

ابتسم بتوتر

اى نظرات ومتى ؟

— أثناء الصوره الجماعية

تردد جمال.

— لم يكن مهمًا.

ابتسم محمد ابتسامة قصيرة.

— الأمور غير المهمة...

— لا تسقط من الذاكرة عادة.

ساد صمت قصير.

ثم قال محمد وهو يشير إلى الملف الذي سقط:

— يبدو أنك مستعجل اليوم.

نظر جمال إلى الأوراق.

— ضغط عمل.

قال محمد بنبرة هادئة جدًا:

— الضغوط...

ـــ تجعل الإنسان يخطئ في التفاصيل.

نهض محمد ببطء.

ـــ هذا كل شيء الآن.

ـــ قد أحتاجك مرة أخرى.

تجمّد جمال.

ـــ هل هناك مشكلة؟

التفت محمد عند الباب.

ـــ لا.

ـــ مجرد أسئلة.

خرج،

وترك خلفه غرفة

ضاقت على جمال بوسعها.

ـــ

ثم إتجه محمد لمكتبه.

دخل محمد مكتبه بهدوء.

أغلق الباب خلفه.

جلس، ثم مدّ يده إلى الهاتف الداخلي.

ـــ شدّدوا المراقبة على جمال.

ـــ تحركاته، مكالماته، لقاءاته.

ـــ لا أريد احتكاكًا.

ـــ فقط رصد.

جاءه الصوت من الطرف الآخر مختصرًا:

ـــ عُلم وينفذ.

وضع السماعة ببطء.

فتح الملف مرة أخرى.

نظر إلى اسم جمال طويلًا.

ـــ الغلطة...

ـــ لا بد أن تظهر.

ـــــــ

في الجهة الأخرى،

كانت هبة الله تجلس مع فيصل.

الملف مفتوح أمامهما.

الهاتف موضوع على الطاولة.

قالت هبة وهي تشير إلى الشاشة:

ـــ آخر شيء في يد أحمد كان الهاتف.

ـــ آخر ما فعله...

ـــ كتب.

رفعت عينيها إليه.

ـــ المحادثة مع نفسه.

ـــ ولقطة الشاشة.

تقدّم فيصل قليلًا.

ـــ الغريب ليس أنه كتب.

ـــ الغريب أنه لم يُكمل.

سألته هبة:

ـــ ما الذي كان ينوي كتابته؟

فكّر لحظة، ثم قال:

ـــ أحمد كان يسجل المواقف.

ـــ إذا اختلف مع شخص،

ـــ إذا شعر بأن أمرًا لم ينتهِ.

ـــ كان يكتب لنفسه.

تنفّس ببطء.

ـــ ربما كان سيكتب أن الحج رضا رفض.

ـــ أو أن الصلح لم يكتمل.

ـــ أو أن هناك نقطة مؤجلة.

نظرت هبة إلى الرسالة القصيرة.

ـــ كلمة واحدة...

ـــ «هو».

قال فيصل بصوت منخفض:

ـــ التأثير بدأ قبل أن يُكمل.

ـــ قلبه خانَه وهو يكتب.

ـــ أحمد يحب أن يذكّر نفسه بمثل هذه اللحظات.

ساد صمت قصير.

قالت هبة أخيرًا:

ـــ أحيانًا...

ـــ ما لا يُكتب يكون أهم مما كُتب.

وفي مكانين مختلفين،

كانت الحقيقة تقترب...

ببطء لا يُحتمل.

-

مرّ يومان.

كان محمد خارج مكتبه حين تلقّى اتصالًا مقتضبًا من أحد رجاله.

أخبره أن ملف المراقبة وُضع على مكتبه، كاملًا، دون نقص.

توقّف محمد لحظة، ثم قال بهدوء خالٍ من أي انفعال:

ـــ اتركه كما هو. سأطّلع عليه في موعدي.

ـــ المراقبة مستمرة، وبأقصى درجات السرية.

أغلق الهاتف، وغادر المكان دون أن يلتفت.

وكأنّه يمنح الخيط وقتًا أطول ليشدّ نفسه بنفسه.

———

في التوقيت ذاته، كانت هبة الله تغادر مبنى الصحيفة.

رنّ هاتفها، اسم فيصل يضيء الشاشة.

ـــ أحتاج مقابلتك حالًا.

لم تسأله عن السبب.

استقلت سيارتها وتوجّهت إلى مطعم بعيد عن الزحام، هادئ، لا يثير الانتباه.

كان فيصل في انتظارها. جلسا، ولم يحتج الأمر إلى مقدمات.

ـــ ذهبت إلى الشركة.

رفعت هبة نظرها إليه، تنتظر.

ـــ قابلت الأستاذ أشرف، مدير مكتب أخي، والقائم بأعماله لحين انتهاء إجراءات الميراث.

ـــ طلبت الاطلاع على بعض الأوراق.

توقّف لحظة، ثم أضاف:

ـــ وطلبت أيضًا فتح خزنة أوراق أحمد الخاصة.

بدت الدهشة واضحة على ملامحها.

ـــ رفض في البداية، قال إن المحامي الخاص يجب أن يحضر ليكون الفتح قانونيًا.

ـــ لكن علاقتي به قديمة، وأقنعته أن الأمر سري، وأن شيئًا لن يخرج من مكانه. قلت له إن الأمر ضروري.

صمت قصير بينهما.

ثم قال فيصل بصوت أخفض:

ـــ ما وجدته هناك... لم أكن أعلم بوجوده.

ـــ أوراق أخي كان يخفيها عن الجميع، في مكان خاص.

نظر إليها مباشرة، وكأنه يسلّمها عبئًا لا يريد حمله وحده:

ـــ يجب أن تريها قبل أن تُعرض على المباحث.

ـــ ما فيها كفيل بفتح القضية من جديد.

نظرات منفرقه من هبه الله بصمت .

ثم أغلقت الملف أمامها.

وقالت :

ـــ إن الحقيقة لا تعود عادةً إلا حين يظن الجميع أنها انتهت.

ـــــ

الفصل الرابع:

فتحت هبة الله الملف ببطء.

الاسم في أعلى الصفحات كان واضحًا: جمال إبراهيم عبد الرحمن.

بدأت بالأوراق الأقدم.

مخالفات إدارية متكررة، إنذارات، شكاوى داخلية، ثم الملف الذي أُغلق قديمًا دون تفسير واضح:

شبهة اختلاس داخل الشركة.

رفعت رأسها ببطء.

القضية التي قيل إنها انتهت، لم تنتهِ قط، بل دُفنت.

لكن الجديد لم يكن هنا.

بين الأوراق، وجدت ملفًا مختلفًا، محفوظًا بخط يد أحمد.

اتفاق مبدئي مع إحدى الشركات...

الأوراق تحمل توقيع أحمد، وتوقيع الشركة.

توقفت هبة فجأة.

ـــ هذا التوقيع... مزوّر.

الشركة المذكورة لم تكن غريبة.

هي نفسها الشركة التي يعمل بها مازن أمين، صديق أحمد، مدير المبيعات.

تابعت القراءة، والقلب يزداد ثقلًا.

في حال إتمام العقد، كان جمال سيحصل على مكافأة توقيع كبيرة،

وكذلك مازن أمين.

أغلقت الملف جزئيًا، ونظرت إلى فيصل.

ـــ أحمد كان يعلم.

أومأ فيصل ببطء.

ـــ جهّز ملفًا كاملًا لتقديمه إلى النيابة، واحتفظ به.

سألته هبة، دون أن تخفي دهشتها:

ـــ كيف علمت بكل هذه التفاصيل؟

أجابها بصوت ثابت:

ـــ المستشار القانوني أخبرني بكل شيء.

ـــ لم يكن أحد في الشركة يرغب في استمرار جمال، كثرت مخالفاته، وأضرّ بعدد من العاملين البسطاء.

ـــ لكن تدخل ملك أنقذه أكثر من مرة.

ساد صمت قصير.

قالت هبة، وكأنها تفكر بصوت مسموع:

ـــ هل هذا بداية خيط الحقيقة؟

ـــ هل كان هناك اتفاق بين جمال ومازن أمين؟

توقفت لحظة، ثم أضافت:

ـــ وهل بهذا يُستبعد الحاج رضا؟

رفعت نظرها من جديد.

ـــ ومع ذلك... هناك شيء يخفيه الحاج رضا.

ـــ لكن ما هو؟

ـــــــ

في الجانب الآخر من المدينة، وصل محمد إلى مكتبه.

طلب كوب الشاي المعتاد، وانتظر حتى وُضع أمامه.

أغلق الباب خلفه، وجلس وحيدًا.

فتح ملف المراقبة بعناية، صفحة بعد أخرى.

كثرة اتصالات جمال بأخته.

زيارات متأخرة لمنزلها.

اضطرابات حادة داخل العمل.

ثم توقّف عند سطر محدد.

خلاف شديد داخل المصنع بين جمال، وبين الأستاذ أشرف، القائم بأعمال أحمد علاء لحين انتهاء إجراءات الميراث.

قرأ ما كُتب أسفل السطر ببطء:

"أُبلغ جمال صراحة أن تدخل شقيقته أنقذه من الحبس والرفد أكثر من مرة،

لكن لن يتم حمايته يوم عرض الأوراق، يوم فتح الخزنة وإجراءات الميراث."

أغلق محمد الملف بهدوء.

ارتشف من كوب الشاي، ثم ابتسم ابتسامة خفيفة لا تحمل راحة.

وقال لنفسه:

— هناك خيط...

— وسيُسحب من هناك.

-

أعاد محمد النظر إلى لقطة الشاشة مرة أخرى.

تأمل الوجوه فيها طويلًا، ثم أغلق الملف بهدوء، ونهض.

في الطريق، أخرج هاتفه واتصل بملك.

ـــ مرحباً ، أعتذر منك ،

أنا في طريقي إليكِ الآن.

لم تُكثر من الأسئلة. اكتفت بالموافقة.

حين دخل المنزل، وجد جمال جالسًا.

ابتسم محمد ابتسامة خفيفة، بينما سبق جمال بالكلام.

ـــ جيد... كنت على وشك أن أطلب منها الاتصال بك.

توقف لحظة، ثم تمتم وكأنه يراجع نفسه:

ـــ هذا... هذا جيد حقًا.

دخل محمد، وجلس دون استعجال.

ـــ لن أطيل، جئت فقط لأفهم بعض الأمور.

ساد صمت قصير.

بدأ محمد حديثه بهدوء متعمّد:

ـــ بعد الوفاة، بدت الصورة كاملة.

ـــ الأشخاص، التوقيت، التقارير... كل شيء بدا واضحًا.

نظر إلى ملك ثم إلى جمال.

ـــ لكن أحيانًا، الوضوح الزائد يخفي تحته فراغًا.

تغيّرت ملامح ملك.

حاولت التماسك، لكنها بدأت تتحدث بتقطّع.

ـــ أخي... أخي لا علاقة له بشيء.

ـــ جمال كان معنا، ثم غادر، وكل شيء مُثبت.

رفع محمد يده برفق.

ـــ لم أقل غير ذلك.

تدخّل جمال، بصوت حاول أن يبدو ثابتًا:

ـــ ما الهدف من كل هذا؟

ـــ هل ترغب في اتهامي؟

ـــ أن أقتل زوج أختي؟

أجاب محمد فورًا، دون تردد:

ـــ لا، بالطبع لا.

ـــ لكن هناك أمورًا أُخفيت، ويجب أن تتضح.

ابتسم جمال ابتسامة متوترة.

ـــ لا شيء خفي.

ـــ الأدلة واضحة، الأشخاص معروفون، حتى الاتصالات مسجّلة وأثبتت ما قلته.

فتح محمد ملفه ببطء.

ـــ دعنا نراجع التحريات.

نظر مباشرة إلى جمال.

ـــ توصلنا إلى معلومات عن مشاكلك داخل الشركة.

ـــ خلافات متكررة، وآخرها كان خلافًا حادًا مع الأستاذ أشرف.

تحرك جمال في مقعده.

ـــ خلاف عمل.

هزّ محمد رأسه.

ـــ خلافات العمل أعرفها، أراها كل يوم.

ـــ لكن ليس كل خلاف ينتهي بجملة:

"أنقذتك شقيقتك من الحبس، لكن الأمر سينكشف يوم فتح الخزنة واستلام الميراث."

ساد الصمت.

تقدّمت ملك خطوة، وقالت بانفعال ظاهر:

ـــ كل هذه المراقبة...

ـــ كل هذه الاتهامات...

ـــ بسبب مشاكل عمل لم تُحاسَبوا عليها من قبل؟

ثم أضافت بسرعة، وكأنها تحتمي بالكلمات:

ـــ وكيف يُعقل أن يعلم أخي بتفاصيل علاج زوجي؟

ـــ المرض معروف، والتقرير الطبي ـــ كما أخبرتنا أنت ـــ يؤكد أن الوفاة طبيعية.

عمّ الصمت المكان.

رفع محمد نظره إليها، وتحدث بهدوء أشد.

ـــ قد يكون علم منكِ.

تجمّدت ملامح ملك.

ـــ مواعيد العلاج كانت مسؤوليتك.

ـــ كنتِ الأحرص عليها، والأقرب إليه.

تراجع صوتها، ولم تُجب.

أكمل محمد دون أن يرفع نبرته:

ـــ قد لا تكونين شريكة.

ـــ وربما لم تقصدي شيئًا.

نظر إليها طويلًا.

ـــ لكنكِ... قد تكونين ساعدتِ.

ثم التفت إلى جمال.

ـــ وهذا جواب سؤالك.

ـــ أنا لا أتهمك.

ـــ أنا أحاول... أن أساعدك.

-

تحرك محمد ببطء إلى الخارج بعد انتهاء الحوار مع جمال.

توقف قليلاً عند الباب، نظر إليه، وقال بهدوء:

ـــ أريد منك الصدق، وتوضيح كل الأمور.

ـــ لا تظن أن القضية توقفت هنا.

ـــ أنا متأكد أن الوفاة ليست طبيعية، ولا زلت أشعر أن لديك ما يكشف الحقيقة.

ـــ سأتصل بك غدًا... وأعلم أنك تملك ما أبحث عنه.

ثم أغلق الباب خلفه وترك المكان صامتًا، مثقلاً بالقلق.

في الجهة الأخرى، تحركت هبة الله مع فيصل باتجاه منزل مازن أمين.

وصلوا إلى المنزل الفاخر، بهدوء ودقة.

استقبلهم مازن ببساطة، أسرة لطيفة، وابتسامة هادئة على وجهه، توحي بالاطمئنان.

جلس الجميع، وبدأ فيصل بالحديث مباشرة، بصرامة واضحة:

ـــ مازن... علاقتك بأخي ليست بسيطة، وأنا بحاجة لمعرفة الحقيقة.

ـــ ما اكتشفناه داخل مكتب أخى يجعلنا نتساءل ماذا حدث؟ ولماذا تم هذا العمل؟

جلس مازن مستندًا إلى ظهر الكرسي، يجيب بصوت هادئ:

ـــ هذا عمل قديم... مجرد خطوة قديمة، تم تداركها مع أخيك... لا شيء أكثر من ذلك.

صمتت هبة، تستمع لكل كلمة، وتراقب نبرة صوته.

كانت تشعر بثقة مزيفة تتخلل كلامه، لكن القلق بدا جليًا في طريقة تحركه.

أخرج فيصل الورقة من الملف، وضعها أمام مازن، وأشار إلى تاريخها القريب من الحفل بأيام:

ـــ هذه الورقة... لم تكن مجرد تحضيرات عادية.

ـــ لم يكن استدعاء أخي للشهادة عن العقد... نعتقد أن هناك أمرًا مختلفًا.

ارتجف مازن قليلًا، حاول التهدئة، لكن صوته بدأ يتغير:

ـــ وصلت إلى هناك... كل شيء طبيعي للغاية...

ـــ لا أعلم شيئًا عن هذا العقد... أنا أتحدث عن المشكلة القديمة فقط.

بدأ قلقه يظهر، وملامحه تفقد هدوءها شيئًا فشيئًا.

قالت هبة، لأول مرة بحدة وبصوت ثابت:

ـــ جمال أخبرنا بكل شيء.

ـــ نحن لا نغطي أحدًا، القضية قد حُفظت وانتهت،

ـــ لكننا نريد الحقيقة فقط.

رد مازن بكلمة واحدة، قصيرة، حادة:

ـــ لا أعلم شيئًا.

ـــ شكرًا لكم على حضوركم.

تبادل فيصل وهبة النظرات، مليئة بسخرية، قبل أن يتقدما للخروج.

خرجوا من المنزل، وصوت فيصل يرتطم بالسيارة وهو يقول:

ـــ هذا الأحمق متورط في قضية أخي، لا شك في ذلك.

ـــ سأتصل فورًا برئيس المباحث، السيد محمد، لأخبره بما اكتشفناه.

ظلت هبة صامتة للحظة، تتأمل الطريق أمامها، ثم قالت بهدوء:

ـــ نعم... لابد من مقابلته.

ـــ لكن علينا أن نهدأ قليلاً، كل شيء بدأ يتضح.

ـــ

عاد محمد بسيارته في اتجاه مكتبه.

عقله منشغل بصوت جمال، وبنبرة ملك المترددة، وبالملفات التي لم تغلق داخله بعد.

رن هاتفه.

كان فيصل على الطرف الآخر.

ـــ أحتاج إلى مقابلتك الآن يا سيادة المقدم.

أجاب محمد بهدوء محسوب:

ـــ خلال خمس عشرة دقيقة أكون في مكتبي. إن أردت، تفضل في الحال.

ساد صمت قصير، ثم جاء صوت فيصل:

ـــ حسنًا... نحن في الطريق إليك.

أغلق محمد الهاتف، وعاد يركز نظره على الطريق.

مرّ شريط الحوار الأخير أمام عينيه: دفاع ملك المتقطع، ابتسامة جمال المتوترة، والجملة التي علقت في ذهنه دون أن يجد لها موضعًا واضحًا بعد.

وصل إلى المكتب، صعد الدرج بخطوات ثابتة، دخل غرفته، وأغلق الباب خلفه.

جلس إلى مكتبه، فتح أحد الملفات، ثم أغلقه دون أن يقرأ.

أخذ نفسًا عميقًا، وأعاد ترتيب الأوراق أمامه، كأنه يستعد لمشهد جديد.

كان يشعر أن هذا اللقاء مختلف.

ليس كتحقيق، ولا كاستجواب.

باب آخر يُفتح، ليضع يده أخيرًا على ما يؤكد شكه القديم:

أن الحقيقة لم تُدفن مع الجثة، وأن شيئًا ما ما زال يتحرك في الظلام.

ـــ

الفصل الخامس:

دخل فيصل وهبة الله إلى مكتب محمد.

تبادلت الأيدي السلام، وتهادت عبارات التحية القصيرة، ثم أشار محمد بيده إلى المقعدين أمامه.

ـــ أهلًا بكم، أنا أسمعكم... تفضلوا.

أخذ فيصل نفسًا عميقًا قبل أن يتكلم:

ـــ بحثتُ أنا والصحفية هبة الله في بعض الملابسات، وراجعنا أمورًا لم تكن واضحة، ووصلنا إلى نتائج نضعها أمامك الآن.

تقدمت هبة قليلًا، ووضعت ملفًا على المكتب.

ـــ جمال لم يكن صادقًا حتى النهاية. أثناء حديثنا معه، تبيّن أنه أخفى توتر أحمد قبل اجتماع المنزل بعد الحفل. أحمد أخبره أنه قلق من لقاء الحاج رضا، وأن الاتفاق قد لا يتم.

فتحت الملف وأشارت إلى ورقة بعينها:

ـــ هذا العقد. لم يوقّع عليه الحاج رضا. الموجود فقط توقيع الشهود: أسامة زايد، ومازن أمين. الطرف الثاني لم يضع توقيعه.

رفع محمد عينيه عن الورق، وبدا أن المعلومة استقرت في مكان حساس داخله.

تابعت هبة بصوت منخفض:

ـــ قابلتُ الحاج رضا. اللقاء كان غريبًا. الرجل يتحدث بتلقائية وهدوء، لكن شعرتُ أنه يخفي أمرًا ما. لم أصل إليه، لكن شعوري لم يكن مريحًا.

تدخل فيصل وهو يشبك أصابعه:

ـــ في الملف نفسه أوراق إدانة لجمال داخل الشركة. اختلاس، وعقد مزور باسم أخي. أحمد اكتشف الأمر، وتستر عليه في البداية. ما علمناه أنه كان على وشك تقديم الأوراق للنيابة، لولا تدخل ملك لإنقاذ أخيها.

سكت محمد.

لم يتكلم، ولم يعلّق.

راح يقلب الصفحات ببطء، وكأنه يعيد ترتيب المشهد قطعة قطعة داخل رأسه.

بعد لحظات، رفع رأسه وقال بهدوء:

— لا بد من مواجهة جمال بهذه الأوراق. ولا بد من مقابلة الحاج رضا مرة أخرى قبل فتح التحقيق من جديد.

قال فيصل بسرعة:

— قابلنا مازن أمين. واجهناه بالعقد المزور، لأنه مرتبط بشركته. أنكر تمامًا، لكنه توتر بشدة، وغضب، وأنهى الحوار فجأة.

صمت لحظة، ثم أضاف:

— كانت له مشكلة قديمة مع أخي، ثم عادا أصدقاء بلا شراكة عمل. أحمد اكتشف ألاعيب كثيرة ورفضها. لم يتصادما علنًا، لكن العمل بينهما انتهى منذ سنوات.

أسند محمد ظهره إلى المقعد، وشبك يديه خلف رأسه.

— إذن نبدأ من عند جمال... ومن هناك ستتضح الأمور.

اتفقوا على ترك جميع الأوراق والملفات في المكتب. أخبرهم محمد أنه سيستدعي ملك وجمال لفتح التحقيق من جديد، وأنه سيقابل مازن والحاج رضا في اليوم التالي.

قبل أن يغادروا، نظر محمد إلى فيصل وقال:

— أنت طبيب، أليس كذلك؟

ـــ نعم.

ـــ اطلعتَ على التقرير الطبي. ما رأيك؟

تردد فيصل قليلًا، ثم قال:

ـــ التقرير ربط الوفاة بالقلب والعلاج، لكنه لم يجزم أن العلاج وحده السبب. القلب لم يتحمل. ربما ارتفع ضغطه، ربما تعصب وغضب بشدة. أحمد كان كتومًا، يكتم كل شيء داخله. هذا ممكن طبيًا... لكن رغم ذلك أشعر أن هناك يدًا لعبت في الخفاء.

أومأ محمد ببطء.

ـــ سنعرف.

أنهى الحديث، وطلب منهم البقاء على تواصل دائم معه.

استأذنا وخرجا.

ما إن أُغلق الباب حتى التقط محمد الهاتف، واتصل بملك.

ـــ مدام ملك، هناك استدعاء الآن. أرجو الحضور.

جاء صوتها متوترًا:

ـــ ماذا حدث يا سيادة المقدم؟

ـــ خيراً إن شاء الله. أنا في انتظاركم.

بعد أقل من ساعة، تحركت ملك برفقة جمال نحو مكتب محمد.

الطريق كان صامتًا، والقلق يثقل الوجوه.

طرقا الباب.

دخل الاثنان.

كانت ملامح ملك تحكي خوفًا صريحًا، وقلقًا لم تستطع إخفاءه،

بينما وقف جمال متماسكًا ظاهريًا... لكن عينيه لم تكونا كذلك.

-

أشار محمد لهما بالجلوس.

جلسا على الكرسيين المقابلين للمكتب، بينما ظل هو واقفًا لحظة قبل أن يجلس ببطء خلفه.

رفع عينيه إليهما، وتحدث بصوت هادئ... صارم.

ـــ أخبرتكما اليوم أنني أنتظر مكالمة في الغد، لكن من حسن الحظ أن الأمر لم يحتمل الانتظار.

قال جمال بقلق ظاهر:

ـــ ماذا تقصد يا سيدي؟

فتح محمد الملف أمامه، ووضع العقد فوقه.

ـــ اطّلعنا على هذه الأوراق... وهذا العقد. وعلمنا بنية أحمد توجيه اتهامات لك، وتقديمها للنيابة. لكن ملك هي من منعت ذلك.

اتسعت عينا ملك:

ـــ أي اتهام؟ أاتهام بقتل زوجي؟

رفع محمد يده قليلًا:

ـــ لا نتحدث بالعاطفة، بل بالأدلة والشواهد. قد يقول البعض حماية أخ، وقد يقول آخرون استيلاء على ممتلكات. كل الاحتمالات مطروحة.

سكت لحظة، ثم أضاف بنبرة أهدأ:

ـــ فلنبدأ بهدوء حتى لا نتعجل الأمور. ما رأيك يا سيد جمال؟

بدأ جمال يتنفس بسرعة، وصوته خرج متقطعًا:

ـــ لم أقترب منه، ولم أفعل شيئًا. أنا لن أؤذي أحدًا. أحمد وقف إلى جواري كثيرًا. نعم... اختلست، وأخطأت، وزوّرنا هذا العقد. أفكر في المال، نعم، لكني لا أقتل... ولن أفعل ذلك. صدقني.

نظر إليه محمد طويلًا، ثم قال:

ـــ أخبرني بالضبط... ماذا حدث يومها في المنزل؟

ابتلع جمال ريقه، وأنزل عينيه إلى الأرض.

ـــ دخلت عليه... كان متوترًا، يشعر بشيء غريب. سألته ماذا به، قال إنه قلق من عقد الحاج رضا. لم يخبرني السبب، فقط قال إنه قد لا يوافق. كانت على وجهه علامات غير معتادة.

ـــ كيف؟ وما هي؟

ـــ تعرّق قليلًا، وبدا عليه الارتباك... ثم ابتسم فجأة، وسألني ماذا أتى بي.

رفع رأسه قليلًا:

ـــ جئت لأطلب منه ألا يقدم العقد والأوراق للمحكمة، وأن أترك العمل بهدوء. لكنه كان مشتتًا، طلب مني أن نتحدث لاحقًا. أصررت... وفجأة سمعنا جرس الباب.

توقف، ثم تابع:

ـــ صُدمت حين رأيت مازن. سألته عن سبب قدومه، قال إنه لأمر مستعجل، وإن أحمد يعلم ذلك. دخلا معًا. مازن تحدث بأسلوب قوي، وهدده. بعد لحظات سمعنا الجرس مرة أخرى.

تنهد:

ـــ دخل الأستاذ أسامة زايد، ومعه حقيبة طلبات كان أحمد قد طلبها منه. لا أعرف ما كانت. تركتهم وغادرت بطلب من أحمد. اللقاء بعد تهديد مازن تحول إلى جلسة هادئة منذ دخول أسامة.

رفع عينيه نحو محمد:

ـــ غادرتُ مع دخول الحاج رضا. هذا كل ما حدث. وعندما علمت بموت أحمد، اتصل بي مازن وقال إن أحدًا لم يقترب منه، وأن اللقاء انتهى بهدوء. ولهذا قلت هذا فى التحقيقات .

وبالفعل، بعد مغادرتهم اتصل أحمد بملك، وكان جيدًا وهادئًا. هذا كل ما أعلمه.

كانت نظرات ملك ترتجف، ووجهها شاحبًا.

ـــ لا ياسيد محمد ..جمال... لم يقتل أحمد. التقرير قال إن الوفاة بسبب أثر علاجي. موته طبيعي، بلا فاعل.

ـــ أنت سمعت المكالمة المسجلة على هاتفه... المكالمة معي ومع جمال. كان الأمر طبيعيًا،

ابتسم محمد ابتسامة صغيرة، هادئة، لا تُطمئن.

ـــ سنلتقي جميعًا مرة أخرى... في منزل مدام ملك.

نظر إلى جمال مباشرة:

ـــ وهناك ستقول هذا الكلام أمامهم جميعًا. لن نفتح التحقيق الآن، ولن نعيد القضية بعد.

وقف، وأغلق الملف.

ـــ الحقيقة... اقتربت كثيرًا من الوضوح.

-

وفي طريق العودة، كان الصمت يخيّم على السيارة.

المدينة تمرّ خلف الزجاج بلا ملامح.

قطعت هبة الله الصمت فجأة، ونظرت إلى فيصل:

ـــ مرض أخيك... لم أفهم التقرير الطبي جيدًا. ما نوع علاج القلب الذي كان يتناوله؟

تردد فيصل لحظة، ثم أجاب باسم الدواء، وشرح باختصار آلية عمله وتأثيره عند ارتفاع ضغط الدم.

أومأت هبة ببطء، وقالت وهي تحدّق في الطريق:

ـــ هل يمكن أن يكون ذلك قد حدث؟

حوار مع جمال، ثم اتصال زوجته ملك، وسؤاله عن جمال ومنعه من تقديمه للنيابة...

خلاف، توتر، ضغط يرتفع، لا أحد يريد أن يتحمل السبب.

تنهد فيصل، وصوته خرج مثقلًا:

ـــ لكن المثبت أن هناك مكالمات استمعت إليها المباحث، والمرفقات تؤكد أن الحوارات كانت هادئة. قد تكون هناك مكالمات حُذفت، لكن لا دليل على ذلك.

حتى الهاتف... رُفعت البصمات، ولم تكن عليه سوى بصمات أحمد.

سكت لحظة، ثم أضاف:

ـــ رغم ذلك... الأمر مريب.

اختلاف، غضب مكتوم، توتر لا يظهر في الصوت، ثم دواء في توقيت خاطئ... فيحدث ما حدث.

نظرت إليه هبة وسألته:

ـــ أخبرني عن الحفل. أين كان؟ وكيف كانت أجواؤه؟

ـــ في أحد الفنادق التابعة لشركة أخي. الأجواء كانت هادئة وجميلة. لا خلاف، لا توتر. التقطنا بعض الصور.

أخرج هاتفه، وفتحه، وبدأ يعرض الصور واحدة تلو الأخرى.

قلبت هبة الصور بصمت، ببطء شديد، حتى وصلت إلى آخر صورة.

توقفت لحظة، ثم أعادت النظر، ثم أغلقت الهاتف بهدوء.

ـــ كل شيء يبدو واضحًا.

لم يجب فيصل.

عاد الصمت، أعمق من ذي قبل، كأن الطريق ضاق فجأة، وكأن الأفق انسحب أمامهما.

قالت هبة الله أخيرًا، بصوت خافت:

ـــ يبدو ذلك... حقًا.

-

في اليوم التالي، بدأت الاتصالات واحدة تلو الأخرى.

صوت ملك كان هادئًا، لكنه متماسك على نحو غير معتاد.

طلبت من الجميع الحضور إلى المنزل، دون شرح، ودون تبرير.

مع اقتراب المساء، اكتمل العدد.

مازن أمين جلس بعيدًا قليلًا، ظهره مستقيم، عيناه لا تستقران على أحد.

أسامة زايد اتخذ مقعدًا قريبًا من النافذة، يراقب الشارع أكثر مما يراقب الوجوه.

الحاج رضا جلس ثقيل الحركة، يضم كفيه فوق عصاه، صامتًا كعادته.

جمال وقف أول الأمر، ثم جلس إلى جوار أخته، متوترًا، يشيح بوجهه كلما التقت العيون.

فيصل جلس مقابلهم، صامتًا، ملامحه جامدة.

وبعد دقائق، دخلت هبة الله، ألقت التحية بهدوء، وجلست دون أن تنطق.

سأل مازن أخيرًا، بنبرة حاول أن يجعلها عادية:

ـــ خير يا مدام ملك؟ ما سبب هذا الجمع؟

نظرت إليهم جميعًا، واحدًا واحدًا، ثم قالت:

— المقدم محمد يرغب في مقابلتكم هنا. مقابلة غير رسمية. مجرد حديث.

ساد صمت ثقيل.

تبادلت النظرات، وكل وجه حمل تفسيرًا مختلفًا لكلمة حديث.

لم تمضِ لحظات حتى سُمع طرق خفيف على الباب.

نهضت ملك ببطء، فتحت الباب، ودخل المقدم محمد.

ألقى التحية بهدوء، ثم وقف لحظة يتأمل الوجوه مجتمعة، كأنه يراهم للمرة الأولى في صورة واحدة.

— مساء الخير.

جلس دون أن يُطلب منه، ووضع ملفًا رفيعًا إلى جواره، لم يفتحه.

— لا تقلقوا. كما قيل لكم، هذا لقاء غير رسمي. لا استجواب، ولا محاضر.

توقف قليلًا، ثم تابع بصوت ثابت:

— أردت فقط أن أراكم معًا... في المكان نفسه، والوقت نفسه.

مرّت لحظة صمت أخرى، أشد توترًا من سابقتها.

وفي تلك اللحظة، كان الجميع يدرك أن هذا اللقاء، مهما وُصف،

لن يخرج أحد منه كما دخل.

-

في اليوم التالي، أجرت ملك عدة اتصالات قصيرة، متتابعة، بلا شرح.

طلبت من الجميع الحضور إلى المنزل.

ومع اكتمال العدد، جلسوا في صمت ثقيل.

مازن أمين، أسامة زايد، الحاج رضا.

جمال إلى جوار أخته، وبالقرب منه فيصل.

وبعد لحظات وصلت هبة الله.

سألها الحاج رضا عن سبب هذا الجمع، فاكتفت بقول واحد:

ـــ المقدم محمد يرغب في مقابلتكم هنا. مقابلة غير رسمية.

لم تمضِ دقائق حتى دُقّ الباب.

دخل محمد بهدوء، ألقى التحية، وجلس على رأس الطاولة.

لم يبدأ بالكلام فورًا.

وضع الأوراق أمامه، فرد العقد ببطء، وتركه ظاهرًا للجميع.

ثم قال بصوت ثابت:

ـــ أريد إعادة قصة يوم الحفل... من البداية إلى النهاية. دون حذف، ودون تلطيف.

تبادلوا النظرات.

رفع محمد العقد قليلًا، وقال:

ـــ هذا العقد لم يُوقّع من الطرف الثاني.

وغادرتَ أنت يا حاج رضا دون توقيع.

واللقاء الذي وصفته في التحقيقات لا يتطابق مع ما وصلنا من معلومات.

نظر إليه مباشرة، دون حدّة، ودون اتهام صريح:

ـــ نحتاج أن نعرف الحقيقة.

أنت آخر من خرج... وخرجت على غير هدوء.

ساد الصمت.

ثم أضاف محمد ببطء، وهو يثبت نظره عليه:

ـــ أخبرنا بالضبط... ماذا حدث.

تحدّث الحاج رضا بهدوءٍ متماسك، وكأنّه يستعيد المشهد من جديد:

ـــ الأمر كان طبيعيًا في ظاهره. الإرهاق كان واضحًا على وجه أحمد، وظننته من صخب الحفل وطوله.

الخلاف بيننا كان واضحًا: طُلب مني أن أتحمّل الخسائر الآن، على أن يقوم هو بالتعويض لاحقًا.

توقّف لحظة، ثم أكمل بصوت أخفض:

ـــ لكن ما أربكني حقًا هو تغيّر حديثه عمّا اتفقنا عليه في جلسة الحفل، قبل هذا اللقاء بأقل من ساعتين.

نظر إلى الجميع، ثم قال بصدقٍ حذر:

ـــ نعم، اجتاحني الغضب. قلت له صراحة إنه كذب عليّ، وأنني وثقت به، وحفظت كلمتي أمام الرجال، بل وتنازلت قبلها عن كل القضايا لإثبات حسن نيتي.

تنفّس بعمق، وتابع:

ـــ عندها قررت المغادرة. وما أخفيته في التحقيقات كان خوفًا على نفسي. وصولي كان بعد وصول السادة الحاضرين، ولم يكن في المجلس ما يوحي بشيء غير طبيعي، سوى ما ظهر على أحمد من توتر وإرهاق.

حرّك يده قليلًا وهو يختتم:

ـــ اتفقنا جميعًا، دون تصريح، أن نقول إن الأمر كان طبيعيًا... لأنه كان كذلك. خلافي معه كان صدمة من تغييره للاتفاق، لا أكثر.

ثم أضاف، محددًا:

ـــ والسيد أسامة زايد هو من تولّى الحديث معي بعد مغادرتي.

نظر محمد إلى أسامة نظرةً ثابتة، ثم عاد بعينيه إلى الحاج رضا وسأله بهدوءٍ حاد:

ـــ ماذا قال لك تحديدًا؟

أجاب الحاج رضا دون تردد:

ـــ أخبرني بوفاة أحمد، وسألني عمّا جرى بيننا في اللقاء الأخير. قلت له إنني تركته حزينًا ومتعبًا.

قال لي إن أحمد لم يكن على طبيعته، ورغم هدوء الحديث ظاهريًا، إلا أنه وعدهم بألا يكون هناك أي خلاف معك، يا حاج رضا، وأنه سينهي الأمر بعيدًا عن الضجة.

ثم نصحني بألا أُخبر أحدًا بشيء، وأن أقول فقط إن الأمور كانت طبيعية.

ساد الصمت للحظة.

رفع محمد نظره إلى أسامة مباشرة، وقال بنبرة لا تحتمل المراوغة:

ـــ لماذا اتصلت؟ وما سبب هذا الحديث؟

صمت أسامة قليلًا، كأنّه يزن كلماته، ثم أجاب بهدوءٍ دفاعي:

ـــ اتصلت لأطمئن فقط على كيف انتهى اليوم.

كان ذلك حرصًا وخوفًا... على اسم الحاج رضا، وعلى اسمنا جميعًا.

نظر حول الطاولة، ثم أكمل:

ـــ نحن هنا حتى النهاية، ولن نتهرّب من شيء. وإن كانت هناك شبهة، فلتكن بعيدة عنا جميعًا.

لا أحد منا يمكن أن يفكر يومًا في أذية أحمد، مهما كان حجم الخلاف.

سأل محمد أسامة بنبرةٍ ثابتة:

ـــ ما الأشياء التي أحضرتها لأحمد معك؟ وأين هي الآن؟

تجمّد أسامة قليلًا، ثم قال بتردد:

ـــ طلب مني أحمد، وأنا في طريقي إليه، أن أحضر بعض الأدوية من الصيدلية... كانت لابنتي الدكتورة بدر.

والمفاجأة أنّ أحمد رفض أخذها، فأعدتها معي مرةً أخرى.

رفع محمد حاجبه وقال بهدوءٍ قاطع:

ـــ الكاميرات رصدت دخولك، لكنك خرجت دون أن يكون بيدك أي شيء.

نظر أسامة إلى محمد مباشرة، ثم قال:

ـــ نعم... من أحضرها إلى هنا هو مازن.

تحوّل نظر محمد إلى مازن:

ـــ وأنت أيضًا خرجتَ، ولم يكن بيدك شيء. هذا أمرٌ غريب.

ثم أشار محمد إلى مازن بيده، في إيماءةٍ صامتة تطلب منه عدم الكلام، وعاد بنظره إلى أسامة ليكمل التحقيق.

ـــ كيف كان وضع أحمد عند دخولك؟ وما سبب وصولك في هذا التوقيت؟ لقد وصلتَ مع مازن، وغادرتَ قبله بلحظات قليلة.

صمت أسامة، ثم نظر إلى مازن كأنه يستمد منه شجاعة الكلام، وقال:

ـــ مازن هو من أتى بي. اتفقنا أن يوصلني بسيارته إلى هنا.

غادرتُ لأن مازن أراد البقاء قليلًا لإنهاء أمرٍ ما مع أحمد والحاج رضا. لا أعلم ما هو، ولم أسأل.

سأله محمد مباشرة:

ـــ من أخبرك بوفاة أحمد؟ ومتى؟

سكت أسامة، شبك أصابعه بتوترٍ واضح، ثم قال:

ـــ مازن.

هو من اتصل بي، وهو من قال لي أن أتحدث مع الحاج رضا وأسأله عمّا جرى بينه وبين أحمد.

ثم قال لي إن الأمور عند خروجنا كانت طبيعية.

رفع محمد رأسه ببطء، بينما واصل أسامة بصوتٍ منخفض:

ـــ قال لي: إن تحدثنا عن أي توتر، سنفتح أبوابًا لا تُغلق، ولن يصدقنا أحد.

لذلك... فلنخبر الجميع أن كل شيء كان طبيعيًا.

ساد الصمت في المكان، صمتٌ ثقيل، كأن الحقيقة بدأت تقترب أكثر مما يحتمل الجميع.

-

سأل محمد أسامة بنبرةٍ هادئة تخفي حدّتها:

ـــ ما الأشياء التي أحضرتها لأحمد معك؟ وأين هي الآن؟

تجمّد أسامة في مكانه، وتردّد قبل أن يجيب:

ـــ كان ملفًا... يحتوي على بعض الأوراق الخاصة بعملي مع أحمد.

رفع محمد حاجبه وقال فورًا:

ـــ الكاميرات رصدت دخولك وخروجك، ولم يكن بيدك أي شيء.

نظر أسامة إلى محمد مباشرة، ثم قال بصوتٍ خافت:

ـــ نعم... الذي أحضرها هو مازن.

تحرّكت عينا محمد ببطء، ثم أشار بيده إلى مازن إشارة صريحة بعدم الكلام.

عاد محمد إلى أسامة وسأله:

ـــ ما طبيعة هذه الأوراق؟ ولماذا أتيت بها؟ هل طلبها أحمد بنفسه؟

تنفّس أسامة بعمق وقال:

ـــ نعم، أحمد طلبها.

ومازن كان الوسيط بيني وبينه. اطّلع عليها أحمد، ثم تركتها وغادرت... وأرسلتها مع مازن.

تقدّم محمد خطوة وسأله:

ـــ كيف كان وضع أحمد عند دخولك؟ ولماذا وصلتَ مع مازن، بينما غادرتَ قبله بدقائق؟

ساد الصمت.

نظر أسامة إلى مازن لحظة، ثم عاد بعينيه إلى محمد وقال:

ـــ مازن هو من أتى بي. اتفقنا أن يوصلني بسيارته.

غادرتُ لأن مازن أراد البقاء قليلًا لإنهاء أمرٍ ما مع أحمد والحاج رضا.

لا أعلم ما هو... ولم أسأل.

سأله محمد مباشرة، دون مقدمات:

ـــ من أخبرك بوفاة أحمد؟ ومتى؟

شبك أسامة أصابعه بقوة، وبدا عليه التوتر، ثم قال:

ـــ مازن.

هو من اتصل بي، وهو من طلب مني أن أتحدث مع الحاج رضا وأسأله عمّا جرى.

ثم قال لي إن الأمور عند خروجنا كانت طبيعية.

توقّف لحظة، ثم أضاف بصوتٍ منخفض:

ـــ وقال... إن تحدثنا عن أي توتر، فسنفتح أبوابًا لا تُغلق،

ولن يصدقنا أحد.

رفع محمد عينيه عن الأوراق ونظر مباشرة إلى أسامة، وقال بصوتٍ ثابت لا يحتمل المراوغة:

ـــ يجب أن نطّلع على هذه الأوراق. أخبرنا بما فيها، أو نوجّه السؤال للسيد مازن.

ساعدنا... لنصل إلى الحقيقة.

تنفّس أسامة بعمق، وكأن شيئًا كان يضغط على صدره منذ أيام، ثم قال:

ـــ حسنًا.

سكت لحظة، ثم تابع:

ـــ الأوراق تخصّ المصنع.

مازن تحدث معي قبلها، قال إنه سيحاول إقناع أحمد بعودتي شريكًا مرة أخرى.

طلب مني تجهيز عقد شراكة جديد... بنسبة أقل من السابق.

وكان لمازن نسبة ثابتة مقابل وساطته.

ارتجف صوته قليلًا وأضاف:

ـــ تفاجأت برفض أحمد التام.

قال لي بوضوح: إن أردتَ العودة، فستعود عاملًا فقط...

داخل مصنع كان يومًا ملكي.

ساد الصمت.

ـــ هذا ما جعلني مرتبكًا، تابع أسامة.

مازن حاول مرة أخرى مع أحمد، لكن الرفض كان قاطعًا.

انتهى الأمر عند هذا الحد.

رفع عينيه وقال:

ـــ بعدها مباشرة، ظهرت على أحمد علامات تعب شديد.

حاولت تهدئة الجو... أنا أعرف مشكلته مع القلب.

لم أرد أن أزيد الضغط عليه.

ثم أشار بيده وكأنه يعيد ترتيب المشهد:

ـــ وصول الحاج رضا جعل المكان صامتًا تمامًا.

التزمتُ بما وعدتهم به، حاولت أن أجعل الأمور تبدو طبيعية، فقط حتى يهدأ أحمد أكثر.

لم أرد أن يظهر أي خلاف.

نظر إلى محمد مباشرة:

ـــ كنت شاهدًا على عقد الحاج رضا، لم انتظر حتى اتمام العقد هل مضى الحج رضا ام لا لا ادرى . وغادرت قبل مازن بلحظات.

هو تبعني بعد ذلك بقليل.

عدت إلى منزلي مباشرة... لم أكن أعلم ماذا سيحدث بعدها.

خفض رأسه وقال بصوتٍ مكسور:

ـــ عندما أخبرني مازن بوفاة أحمد، شعرت بذنبٍ شديد.

ظننت أن ما حدث كان بسببي... بسبب النقاش، بسبب الضغط.

رفع رأسه من جديد:

ـــ لذلك اتفقنا جميعًا أن نقول إن الأمور كانت طبيعية.

لا عمل... لا مصنع...

أحمد رحل، وكل شيء انتهى برحيله.

توقّف، ثم قال بهدوءٍ ثقيل:

ـــ هذه هي الحقيقة كاملة...

كل ما أعلمه، ولا شيء غير ذلك.

صمت محمد .

اكتفى بالنظر إلى الوجوه حول الطاولة، وقد أصبح الخيط أوضح...

لكن العقدة، كانت ما تزال عند مازن.

-

الفصل السادس:

ساد الصمت بعد انتهاء أسامة من حديثه.

الصمت كان مريباً ،كان مزدحماً بالاحتمالات.

أعاد محمد ترتيب الأوراق أمامه ببطء، ثم رفع رأسه ونظر مباشرة إلى مازن.

لم يكن في نظرته اتهام صريح، بل يقين يتكوّن.

ـــ كل الخيوط التي وصلنا إليها... تبدأ منك، يا مازن.

تحرّك مازن في مقعده، وشدّ يديه معًا، وقال بنبرة حاول أن يجعلها ثابتة:

ـــ ماذا تقصد؟

أجاب محمد بهدوءٍ أشد إزعاجًا من الغضب:

ـــ أنت من تحدثت مع أسامة.

أنت من أحضره.

أنت من دفعت باتجاه العقد المزور، ثم حاولت تحويله إلى عقد رسمي جديد.

وأنت من وجّه أسامة ليتواصل مع الحاج رضا، ليُغلق المشهد على أنه "طبيعي".

ارتفع نفس مازن، وقال بتوترٍ واضح:

ـــ نعم... لأن لي عند أحمد عملًا قديمًا.

طلبتُ أكثر من مرة أن أعمل معه أو مع الشركات التي يمتلك توكيلها، لكنه كان يرفض دائمًا.

العمل مع أحمد كان هدفًا كبيرًا لشركتي... تارجت حقيقي.

توقف لحظة، ثم تابع بسرعة:

ـــ اتفقت مع جمال، ومهّدنا للأمر في الحفل.

وأحمد... في البداية كان متساهلًا.

قال إن العمل يمكن أن يتم بشكل رسمي، وأن نُخفي العقد القديم، ونوقّع عقدًا جديدًا بإمضائه هو نفسه.

نظر إلى الأرض، ثم قال بصوتٍ أخفض:

ـــ لكن المفاجأة... أنه تغيّر.

هدد جمال بفتح الموضوع من جديد، وبالتوجه المباشر للنيابة.

رفع رأسه فجأة:

ـــ ثم مات أحمد.

ساد توترٌ في المكان.

ـــ حالته كانت سيئة، تابع مازن.

كان متوترًا، قلقًا، ومرضه بالقلب معروف.

الصدمة... قد تكون فعلت به هذا.

توقف، ثم قال كمن يحاول الدفاع عن نفسه:

ـــ كنت أعلم أنه تناول العلاج في توقيت غير مناسب.

بعد وجبة عشاء دسمة في الحفل.

وهذا خطأ طبي خطير... لا أعلم لماذا فعله أحمد.

تدخل محمد بصوتٍ حاد لأول مرة:

ـــ كيف عرفت أن التوقيت خطأ؟

وكيف عرفت أصلًا أنه تناول العلاج؟

تجمد مازن لحظة، ثم قال:

ـــ رأيت علبة الدواء على مكتبه.

سألته: هل ستأخذها الآن؟

قال: لا... أخذتُها بعد الحفل مباشرة.

ابتلع ريقه:

ـــ قلت له إن هذا خطأ.

قال لي: لا... هذه مختلفة.

رفع كتفيه وقال:

ـــ عملتُ لسنوات في إدارة التوزيع والتوكيلات لإحدى شركات الأدوية.

وهذا الدواء كان من ضمن إنتاجها.

أعرف أعراضه، وأعرف مخاطره...

وأحمد كان يتعاطاه منذ سنوات طويلة.

نظر محمد إلى أسامة:

ـــ هل تؤكد هذا؟

تحرك أسامة في مكانه وقال بتردد، ثم بثبات:

ـــ نعم...

الآن أتذكر.

حدث هذا بالفعل قبل مغادرتي.

عاد محمد بنظره إلى مازن، وقال ببطء:

ـــ لماذا أخبرتَ أحمد أن لك حقًا عنده؟

ولماذا دفعتَ أسامة للحديث صراحة عن المصنع، وإحضار هذه الأوراق؟

تنفّس مازن بعمق، وقال:

ـــ لأن أحمد... في الحفل، كان مختلفًا.

قال لي إنه سيعيد أسامة شريكًا بنسبة أقل.

وأخبرته أن أسامة سيمنحني مكافأة إن أتممت الأمر.

ابتسم ابتسامة باهتة:

ـــ قال لي: حسنًا... أخبره أني وافقت.

حتى الحاج رضا كان متفاهمًا معه.

ساد الصمت.

ـــ لا نعرف ماذا حدث بعد الحفل، أكمل مازن بصوتٍ مرتجف.

لكن أحمد تغيّر فجأة.

كل وعوده تبددت.

كان شاحبًا...

لم يكن طبيعيًا أبدًا.

أنهى كلماته، وبقي ينظر إلى محمد، كمن ينتظر الحكم.

أما محمد، فكان يعلم في تلك اللحظة أن الحقيقة لم تعد بعيدة...

لكنها لم تكتمل بعد.

-

نهض محمد من مقعده ببطء، وألقى نظرة أخيرة على الوجوه الملتفّة حول الطاولة، ثم قال بصوتٍ حاسم لا يحمل انفعالًا:

ـــ الأمر هنا انتهى.

وأعتقد أن الجميع الآن أدرك دوره في هذه القضية.

اختلاف أقوالكم، وتناقضها، أثبت أنكم جميعًا شاركتم في ما حدث...

ربما ليس بشكل مباشر، لكنكم كنتم جزءًا من الجريمة بالصمت، وبالخوف، وبإخفاء الحقيقة.

ساد صمت ثقيل.

ثم التفت إلى هبة الله:

ـــ سيادة الصحفية، أودّ مقابلتكِ في مكتبي.

هناك تفاصيل أخيرة يجب إنهاؤها، وسؤال أحتاج إجابةً عنه.

أومأت هبة بالموافقة دون أن تتكلم.

تعلّقت بها نظرات الجميع، مزيج من الريبة والقلق.

استدار محمد وغادر المكان، تاركًا إياهم كما هم، غارقين في ثقل اللحظة.

تكلم فيصل بعد برهة، موجّهًا حديثه إلى الحاج رضا:

ـــ والآن يا حاج رضا... ما رأيك؟

تنهد الحاج رضا بعمق، وتكلم بصوتٍ مكسور:

ـــ والله... لم أكن أعلم كل هذا.

مهما كانت الخسائر، مستحيل أن أتمنى لأحمد سوءًا.

أنا حزنت عليه بصدق.

توقف لحظة، ثم أكمل:

ـــ لا أرغب في شيء.

وأمامكم جميعًا... أنا مسامح فيما حدث.

وأكتفي بما لدي.

نظر فيصل إلى أسامة زايد، منتظرًا ردًا، لكن أسامة بقي صامتًا، عيونه إلى الأرض.

قال فيصل أخيرًا:

ـــ شكرًا لحضوركم جميعًا.

بقي فيصل جالسًا مع ملك وجمال وهبة.

ـــــــ

في اليوم التالي...

وصلت هبة الله إلى مبنى المباحث.

تقدمت بخطوات هادئة نحو مكتب محمد، طلبت الإذن بالدخول، ثم دخلت.

رحّب بها بإيماءة خفيفة، وأشار لها بالجلوس.

وقبل أن تبدأ بالكلام، سألها بنبرة جادة:

ـــ هل يعلم أحد بقدومكِ إلى هنا؟

رفعت هبة عينيها إليه، وأدركت أن السؤال...

ليس سؤالًا عابرًا.

-

أجابته هبة بهدوء:

ـــ الجميع يعلم، لكنني صباح اليوم التقيت فيصل.

أومأ محمد برأسه وقال:

ـــ حسنًا... أنتِ صحفية، فما الذي أدخلكِ في هذه القضية من الأساس؟

تنفست هبة بعمق، ثم قالت:

ـــ أحمد لم يكن قريبًا فقط... كان أكثر من ذلك، كان أخًا أكبر.

وأنا عملت في تحقيقات صحفية كثيرة عن جرائم متعددة،

وأردت أن أعرف... هل كان هناك يدٌ في موته أم لا.

والآن... الحقيقة بدأت تتضح.

نظر إليها محمد طويلًا، ثم قال بنبرة منخفضة لكنها حازمة:

ـــ إذن، ولأجل احتياطات أمنكِ أنتِ تحديدًا،

يجب ألا يعلم أحد بما يدور في هذا اللقاء.

اتسعت عينا هبة بدهشة:

ـــ ماذا تقصد يا سيادة المقدم؟

مال محمد للأمام قليلًا، وأسند ذراعيه على المكتب:

ـــ ما حدث لم يكن عشوائيًا.

كانت هناك قضية...

وكان هناك قاتل.

توقفت الكلمات في الهواء.

ثم تابع:

ـــ شخص هيّأ الظروف، ومهّد الطريق،

وتحكّم بالجميع دون أن يلمسه أحد.

نظرت إليه هبة نظرة مطوّلة، ثم قالت بصوتٍ خافت:

ـــ هذا... ما كنت أشعر به منذ البداية، لكنني لم أملك دليلًا.

هزّ محمد رأسه ببطء:

ـــ من خبرة عمل طويلة أقول لكِ هذا:

كل من كان في الساحة متهم اتهامًا مباشرًا،

وفي الوقت نفسه... كلهم قد يكونون صادقين.

صمت لحظة، ثم أكمل:

ـــ القاتل الحقيقي الآن يشعر بالأمان.

وسيبدأ بالتحرك.

رفعت هبة حاجبيها:

ـــ وكيف؟

قال بهدوء قاتل:

ـــ خروجكِ من هنا،

ووصول خبر أن القضية أُغلقت على ما حُفظت عليه،

سيجعل الجميع يطمئن.

ثم نظر إليها نظرة ثابتة:

ـــ وسأطلب منكِ بعض الأشياء.

أمور لا يمكن أن يقوم بها أحد داخل هذه الأسرة غيركِ.

ويجب أن تكوني بمفردكِ تمامًا.

لم تسأله كيف ولا لماذا.

كانت تعرف أن الأسئلة أحيانًا... خطر.

تحدثا لأكثر من ساعة.

تفاصيل، افتراضات، أسماء، احتمالات لم تُنطق بصوتٍ عالٍ.

خرجت هبة من المكتب على عجل.

وقبل أن تبتعد كثيرًا، رنّ هاتفها.

كان الاتصال الأول من ملك.

ثم اتصال آخر من فيصل.

ـــ ماذا حدث؟

ـــ ماذا قال محمد؟

ـــ هل انتهت القضية؟

قالت هبة بصوتٍ ثابت:

— نعم...

السيد محمد أغلق القضية تمامًا.

رأى أن الجميع شارك بشكل غير مباشر،

لكن ذلك لا يُعاقب عليه القانون.

ساد الصمت في الطرف الآخر.

ارتاحت الأنفاس.

حلّ هدوء غريب...

هدوء كاذب.

أما هبة،

فكانت تعلم أن ما أُغلق على الورق...

قد فُتح للتو في الظل.

-

جلس محمد في مكتبه بعد مغادرتها.

ساد الهدوء فى المكتب، لا يقطعه سوى صوت تقليب الأوراق.

فتح ملفًا سميكًا وراح يطالعه بتركيز.

تقرير شامل عنها:

مسيرتها الصحفية، تحقيقاتها السابقة، القضايا التي اقتحمتها دون خوف،

وعلاقاتها التي نسجتها بحذر داخل عالمٍ لا يرحم.

توقف عند إحدى الصفحات، ثم أسند ظهره إلى الكرسي، وتمتم كأنه يخاطب نفسه:

— بهذا التقرير... وبهذا السجل الصحفي الكبير،

هي الأكفأ لهذه المهمة دون شك.

سكت لحظة، ثم أضاف بنبرة أقل يقينًا:

— وأيضًا... سنعرف الحقيقة حقًا.

هل ستبحث عن حق أحمد فعلًا؟

وهل أن ولاءها له... هو من سيقودها؟

أغلق الملف ببطء، ووضعه أمامه كمن يضع حجرًا على رقعة شطرنج.

— الأيام القادمة وحدها ستكشف كل شيء.

ارتدّ بصره إلى النافذة،

حيث كانت المدينة تمضي في حياتها كأن شيئًا لم يحدث،

بينما كانت الحقيقة...

تستعد لأن تُطالب بثمنها.

-

في مساء ذلك اليوم، كانت هبة تغادر مقرّ الصحيفة بخطواتٍ متعبة، حين فوجئت بمازن يقف في انتظارها عند الرصيف المقابل.

اقترب بخطى مترددة، وعلى وجهه قلق لم يُحسن إخفاءه.

ـــ ماذا حدث؟ وماذا سيحدث بعد كل هذا؟

أجابته هبة بهدوءٍ متعمّد، كأنها تقرأ نصًا محفوظًا:

ـــ المقدم محمد أنهى القضية.

رأى أن الجميع شارك بشكل غير مباشر، والملف أُغلق عند هذا الحد.

بدت على مازن علامة ارتياحٍ سريعة، زالت قبل أن تستقر.

تنفّس بعمق وقال:

ـــ حسنًا... شكرًا لكِ.

اكتفت هبة بنظرةٍ طويلة نحوه، نظرة لم تكن سؤالًا بقدر ما كانت وزنًا للأشياء.

كل الخيوط، كل المصادفات، كل الكلمات غير المكتملة...

كانت تشير إليه.

إن كان محمد على حق، فهو أقرب فاعلٍ لم يَمسّ شيئًا بيده، لكنه حرّك كل شيء من حوله.

مرّ نحو أسبوع.

ذهبت هبة لحضور لقاءٍ قانوني في مكتب المحامي علاء عبد الله، محامي الأسرة والمستشار القانوني للشركة.

لم تكن مدعوّة رسميًا، لكنها تعمّدت الحضور بعد أن نسّقت مسبقًا مع المقدم محمد حول بعض النقاط التي تهمها.

دخلت المكتب فوجدت الجميع حاضرًا:

ملك، جمال، فيصل، وأشرف مدير مكتب أحمد.

رحّب بهم علاء بابتسامةٍ مهنية، وبدأ في شرح إجراءات نقل المسؤوليات القانونية، واستعدادات الميراث، وتسوية الملفات العالقة داخل الشركة.

سارت الجلسة بهدوءٍ منضبط، بلا انفعالات، كأن الجميع اتفق على طيّ الصفحة دون النظر خلفها.

بعد انتهاء الجلسة، خرجت هبة بصحبة فيصل.

كان صامتًا للحظات، ثم قال:

ـــ أصبحتُ المسؤول عن الشركة الآن.

رفضتُ استقالة جمال... لكن بشروط واضحة.

توقّف قليلًا، ثم أضاف:

ـــ وملك كانت الضامن الوحيد لهذه الشروط.

نظرت إليه هبة دون تعليق.

أكمل فيصل بصوتٍ أكثر حسمًا:

ـــ أنهيتُ الحسابات بالكامل مع أسامة.

أما مازن... فهو ما زال بعيدًا،

ولا أرغب بوجوده في أي موقعٍ قريب من القلب، أو من العمل.

سارا معًا في الممر الطويل،

والشركة من حولهما تعود إلى حياتها المعتادة،

بينما كانت الحقيقة...

تنتظر من يملك الشجاعة ليُخرجها إلى الضوء.

-

في مكتب محمد وصلت التقارير تباعًا، ملفّات متتابعة تحمل تفاصيل صغيرة، ملاحظات، أوقات، أسماء، وتعليقات متقاطعة.

كثّف محمد المراقبات، وطلب إعادة مراجعة التحركات، والاتصالات، وكل ما ظُنّ سابقًا أنه هامشي ولا يستحق التوقف.

غادر مكتبه بهدوء، دون مرافقة، ودون أن يعرّف بنفسه.

توجّه إلى الفندق الذي أُقيم فيه الحفل.

دخل المكان كأي زائرٍ عادي، جلس قليلًا في الردهة، ثم التقى بمدير الفندق في لقاءٍ ودي، حديث عام عن الحفل، عن التنظيم، عن الضيوف، عن الضغط الذي يشهده المكان في مثل تلك المناسبات.

لم يسأل أسئلة مباشرة، ولم يطلب شيئًا محددًا، اكتفى بالاستماع، وبتسجيل الانطباعات.

بعدها التقى بأحد الندلاء.

أسئلة عابرة، خفيفة، عن الزحام، عن طلبات الضيوف، عن تحركات غير معتادة، عن وجوه بدت متوترة، عن من غادر مبكرًا، ومن عاد أكثر من مرة.

جمع ما استطاع من شذرات، من تفاصيل صغيرة لا تُرى إلا لمن يعرف ماذا يبحث عنه.

غادر الفندق كما دخل، دون أن يلفت انتباه أحد.

في طريق عودته، رفع هاتفه، وتوقف قليلًا قبل أن يضغط زر الاتصال.

اتصل بالصحفية هبة الله، وطلب منها الحضور فورًا.

-

وصلت الصحفية هبة الله، دخلت المكتب بهدوء، أغلقت الباب خلفها، وجلست قبالة محمد.

سألها عن الأوضاع، وعن رأيها فيما آل إليه كل ما حدث.

تحدثت بصوت متزن يحمل قلقًا خفيًا.

قالت إن التغيّر كان واضحًا في طباع ملك وجمال منذ آخر لقاء. لم يعودا كما كانا؛ حذرٌ زائد، كلمات محسوبة، وحضور باهت.

فيصل، منذ تسلّمه العمل، أحكم القوانين داخل الشركة، وضع شروطًا صارمة، وكانت ملك هي الضامن لتنفيذها، خصوصًا ما يخص جمال.

أخبرته أن فيصل التقى بأسامة زايد، وتفاجأ بتسليمه الكامل.

لم يجادل، لم يناور، وافق على تسويات ومخلّصات أنهت كل شيء بهدوء سريع، وكأنه كان ينتظر الخروج.

أما الحاج رضا، فقد أعلن أمام الجميع تنازله الكامل عن أي حق مالي له عند أحمد.

قال إن باب التعاون مفتوح إن رغب فيصل، لكن الأخير رفض.

ما زال في قلبه شيءٌ لم يهدأ، وعلامات استفهام لم تُمحَ، رغم التنازل.

وتوقفت قليلًا قبل أن تضيف:

مازن...

رفض فيصل التعامل معه نهائيًا.

أغلق الباب تمامًا، وقال بوضوح: لا فرصة له، لا الآن ولا لاحقًا.

أنهت هبة حديثها قائلة إن الأمور، على السطح، تبدو طبيعية.

لكنها طبيعية مقلقة.

طبيعة تشبه صمت ما بعد العاصفة، حين يكون الجميع قد ألقى اللوم على نفسه، أو أقنع نفسه بذلك.

صمت محمد طويلًا.

لم ينظر إليها، كانت عيناه مثبتتين على نقطة ما في الفراغ، كأنه يعيد ترتيب المشهد من جديد، قطعةً قطعة.

ثم قال بهدوءٍ حاسم:

نحتاج للقاء أخير مع مازن.

التفت إليها هذه المرة، نظر مباشرة في عينيها، وأضاف:

لقاء واحد فقط...

لتكتمل الصورة.

وقتها فقط، سأخبركِ بكل شيء.

-

ذهبت هبة الله إلى مكتب مازن أولًا.

استقبلها بابتسامة متحفظة، ودعاها للجلوس، وبدا عليه حرص زائد يخفي توترًا قديماً لم يختفِ.

ـــ سألته عن تواصُل فيصل معه.

أجاب بهدوءٍ مصطنع أنه تفاجأ بالأمر، لكنه لا يمانع، فكل شيءٍ ـ كما قال ـ قد انتهى بعد تلك الفترة الصعبة.

قالت له هبة بنبرة ثابتة:

ـــ نعم، تلك الفترة انتهت.

وقبل أن تُكمل، طُرق باب المكتب طرقًا خفيفًا، ثم فُتح.

دخل المقدم محمد.

تجمد مازن في مكانه، واتسعت عيناه.

ـــ ماذا يحدث؟

قال محمد بهدوء:

ـــ لقاء ودي... فقط لإعطائك حقك بعد كل ما مرّ.

جلس محمد، ووضع الملف أمامه، ثم بدأ الحديث بلا مقدمات:

ـــ السيد طلعت، منافس أحمد في السوق... كنت تعمل معه، وتنقل له أخبار أحمد أولًا بأول.

ـــ قضية الحاج رضا لم تكن إلا أداة ابتزاز، استغليتَ فيها أخطاء أحمد القديمة، أخطاء كان ينوي إصلاحها.

ـــ كالمصنع، وديون أسامة، حصته... ديون صُنعت بعناية لتُجبر أسامه على التنازل عنها لأحمد.

ـــ ومشكلات جمال المتكررة، التي تغاضى عنها أحمد بإلحاح من زوجته... ملك.

سقط الصمت كثيفًا.

مازن شحب وجهه، وبدا كمن فقد القدرة على الكلام.

قالت هبة بهدوء قاتل:

ـــ وخلفيتك عن مرض أحمد وعلاجه .

ـــ الآن، الأمر بيدك يا سيد مازن.

تحرك مازن من مكانه، كأن الأرض لم تعد ثابتة تحت قدميه.

ـــ لا... لم أقتله. لم أفكر في قتله أبدًا.

ثم قال بسرعة، وكأنه يفرغ حملاً ثقيلاً:

ـــ نعم، كل ما قيل حقيقي... صفقات، مصالح، عمولات. لكن ليس القتل. أحمد صديقي. كنت أبحث عن الربح فقط.

ـــ جمال كان يعلم بكل شيء، هو من وافق على العقد.

ـــ وملك... كانت تعلم بتصرفات أخيها.

وقف محمد إلى جواره، وقال بصوت منخفض لكنه حاد:

ـــ ولماذا كنتَ قلقًا طوال الحفل؟

ـــ ولماذا كنتَ أنت وجمال تتقابلان خارج القاعة أكثر من مرة؟

تسمر مازن.

ثم قال محمد، وهو ينظر إليه مباشرة:

ـــ لا تخف. لم يعد لديك ما تُخفيه. لقد اكتشفنا كل شيء.

سكت لحظة، ثم تابع:

ـــ أردتَ أن يبدو موت أحمد طبيعيًا.

ـــ العقد المزور يُغلق ملفه.

ـــ أحمد رفض عقدك، وقرر أولًا الصلح مع الحاج رضا، ثم التفرغ لك ولجمال.

ـــ وهذا... هو سبب رعب جمال، كما ظهر في الصورة.

صرخ مازن، وقد انهار:

ـــ لا! لم أفعل.

ـــ جمال هو من قال لي: "إن اصرّ... لا بد أن يموت".

قالت هبة بصوت خافت:

ـــ لذلك أحضرتَ أسامة بأوراقه، لتُظهره سبب الضغط.

تجمد مازن.

ـــ لم أقتله... أقسم.

في تلك اللحظة، فُتح الباب بقوة.

دخل رجال الشرطة، وأُلقي القبض عليه.

دوّى الخبر سريعًا:

مازن أمين... القاتل غير المباشر.

———

تحركت هبة الله فورًا إلى منزل ملك.

كان فيصل هناك، ومعه جمال.

قال فيصل بهدوء مُنهك:

— الأمر انتهى الآن.

— عليكم العودة إلى حياتكم الطبيعية.

ثم نظر إلى جمال:

— كنت مخطئًا.

— وأختك ما زالت تحميك... جعلتني الوصي على كل شيء، فقط لتبقى بعيدًا عن السقوط.

تفاجأت هبة من تنازل ملك الغريب، صمتها، وانكسارها.

غادرت المنزل وهي تفكر.

أخرجت من حقيبتها الصور الضوئية، ثم لقطة الشاشة.

فتحتها ببطء.

ابتسامات الجميع...

صافيه؟

أم مصطنعة؟

وتوقفت عند نظرة جمال.

تمتمت:

ـــ هل كتب أحمد... هو؟

في اللحظة نفسها، كان محمد يجلس في مكتبه، ينظر إلى لقطة الشاشة ذاتها، والملفات أمامه مفتوحة.

قال بصوت منخفض:

ـــ غدًا... سنتأكد من رسالة أحمد.

ثم رفع الهاتف، واتصل بفيصل، والحاج رضا، وأسامة، وملك، وجمال، وهبة الله.

ـــ غدًا، تحقيق أخير.

ـــ أمام مازن.

ـــ لتسمعوا جميعًا... أقوال القاتل الحقيقي.

-

حضرت هبة الله أولَ شخص.

دخلت بهدوء، كان المكان ساكنًا على غير العادة.

نظرت إلى محمد، وقالت بصوتٍ متعب لكنه واثق:

ـــ طوال الليل... وأنا أتابع لقطة الشاشة، الرسالة والصورة معًا.

ـــ شعرت وكأن أحمد كان يكتبها قبل وفاته بلحظات، وكأنه يودّعنا... أو يترك لنا أثرًا لا يزول.

رفع محمد عينيه إليها، وقال بهدوء عميق:

ـــ نعم... أحسنتِ.

ـــ تلك رسالة أحمد، لنا جميعًا.

ـــ والحقيقة... ستظهر اليوم، بعد كل محاولات إخفائها.

جلسا في صمتٍ قصير، قبل أن يُفتح الباب.

دخل الجميع تباعًا، بالترتيب الذي أراده محمد.

وجوه شاحبة، نظرات متوترة، صمت ثقيل يسبق الكلام.

رحّب بهم محمد دون مجاملة زائدة، ثم وقف.

نظر إليهم واحدًا واحدًا، ثم قال بصوتٍ ثابت:

ـــ ما سيُقال الآن...

ـــ قد يكون نهاية هذه القضية.

ـــ وبداية الحقيقة التي حاول الجميع الهروب منها.

ساد الصمت.

وهنا...

بدأت الحلقة الأخيرة.

الفصل الثامن :

وضعت هبةُ الله ملفَّها أمامها ببطءٍ مقصود، كأنها تؤجل ما سيحدث بوضعه على الطاولة لا أكثر.

لم ترفَع رأسها.

لم تنظر إلى أحد.

بدأ الباب يُفتح...

مرةً بعد أخرى.

دخل فيصل أولًا.

وقف لحظة قصيرة، كأنه يراجع شيئًا داخله، ثم جلس دون كلمة.

تبعته ملك وجمال.

خطواتهما متقاربة، لكن المسافة بينهما كانت أوضح من أي صمت.

ثم دخل الحاج رضا.

ملامحه جامدة، عيناه شاردتان، كأنهما لا تبحثان عن أحد.

ثم أسامة.

توقّف عند العتبة، تنفّس بعمق، ثم دخل وجلس في آخر الصف.

أخيرًا، أشار محمد بيده.

— أدخلوا مازن.

دخل مازن.

وتغيّر الهواء.

ساد الصمت.

رفع محمد رأسه ببطء، وقال بصوتٍ هادئ لا يحمل مجاملة:

— سيادة الصحفية هبة الله، تفضّلي.

— اشرحي للحضور كل ملابسات هذه القصة.

رفعت هبةُ الله رأسها.

نظرت إلى الجميع نظرة واحدة، لا طويلة ولا قصيرة، ثم بدأت.

— تم الترتيب للصلح...

— برعاية مازن.

— هو من اتفق مع الجميع، وهو من نسّق التفاصيل.

توقّفت لحظة، ثم تابعت بصوتٍ ثابت:

— موافقة أحمد لم تكن رضا.

— كانت ابتزازًا في البداية،

— ثم إرضاخًا.

— إرضاخًا للصلح مع الحاج رضا،

— وللاتفاق مع أسامة،

— وتوقيع عقود عبر توكيلات تابعة لشركات مازن...

— ليحصل مازن وحده على المكافآت والنِّسَب الأكبر.

تحرّك جمال في مقعده.

لم تلتفت إليه.

— فتح ملفات أخطاء أحمد...

— تم مع نفس الأشخاص.

— الحاج رضا يملك حقًّا ورقيًّا ثابتًا.

— وأسامة...

— ديونه فُتعلت،

— ورتّبت القصة ليُجبر على التنازل عن نصيبه في مصنع والده.

نظرت إلى ملك.

— وملفات جمال...

— أخطاء بالجملة،

ـــ دافعت عنه أخته مرارًا.

خفضت ملك رأسها.

ـــ كل هذا تغيّر...

ـــ حين اكتشف أحمد العقد المُزور بين جمال ومازن.

ـــ واكتشف عمله فى الخفاء ضده مع منافسه السيد طلعت.

ساد الصمت، أثقل من قبل.

ـــ أحمد قرر العودة عن الصلح مع الحاج رضا.

ـــ لكنه استخدم تكاليف الأضرار ذريعةً لتعطيل الاتفاق...

ـــ حتى لا يحصل مازن على ما يريد.

ـــ ولو كان أحمد في كامل وعيه،

ـــ ولو لم يكن تحت تأثير الدواء...

ـــ لشرح للحاج رضا الحقيقة كاملة.

تنفّس الحاج رضا ببطء.

ـــ أما أسامة...

ـــ نعم، ديونه مفتعلة.

ـــ لكنها بُنيت على ديون قديمة.

ـــ أحمد أراد حفظ الحقوق،

ـــ واستعادة حقه القديم بطريقة ملتوية،

ـــ ومنها السيطرة على المصنع.

ـــ وكان يظن أنه سيعوض أسامة لاحقًا بمنصب كبير.

ـــ لكن وجود مازن...

ـــ جعله يُلقي كلمة عامل،

ـــ وكان حينها قد بدأ تأثير العلاج.

رفعت هبة رأسها فجأة.

ـــ جمال...

ـــ قال لمازن:

ـــ إن أصرّ أحمد على فتح الأمر، فلا بد أن يموت.

شهقت ملك وتحركت خطوة للأمام.

أشارت لها هبة بهدوء حازم:

ـــ من فضلك... الهدوء.

تجمّد جمال.

ـــ جمال أخذ وعدًا من أحمد بقفل الأمر.

ـــ في المكالمة الأخيرة بينهما بعد مغادرته الحفل.

ـــ عندما أتصل قبل أن يُحضر ملك.

ـــ كان متوجسًا، خائفًا،

ـــ لكنه يعلم أن لملك تأثيرًا كبيرًا على أحمد.

ـــ واستقالة جمال...

ـــ كانت أكبر أوراق الضغط،مغادره جمال من الشركه لإنهاء كل مشاكله.

ـــ وأكبر أخطاء أحمد.

سكتت لحظة.

ـــ خطؤه المستمر في إبقائه...

ـــ والتستر على أخطائه.

ثم أكملت بصوت أخفض:

ـــ تغيّر الوضع.

ـــ مازن استغلّ خطأ العلاج وآثاره المعروفة.

ـــ ترك أحمد يموت...

ـــ دون أن يقدّم له أي مساعدة.

ـــ وكان يستطيع إنقاذه.

ـــ لكنه علم أن الحاضرين لا يعرفون.

التفتت إلى أسامة.

ـــ حديثه عن العلاج أمامك...

— كان متعمدًا.

— ليُسمع،

— وليُستخدم.

مدّت الملف نحو محمد.

— هذه كل الأدلة.

— تسجيلات مكالمات.

— رسائل.

— حوارات.

— ورسائل مباشرة لأحمد.

— حصلت عليها عبر زيارات بسيطة...

— وأسئلة لم ينتبه لها أحد.

ضحكت ملك ضحكة قصيرة موجوعة، وقالت بصوت مكسور:

— الآن أفهم...

— لماذا كنتِ تسألين دائمًا عن فتح الرسائل،

— وعن العناوين،

— وعن الأشخاص الذين يتحدثون مع أحمد.

— كنتِ تؤدين عملك...

ـــ ونحن لا نرى.

سحبت هبة يدها بهدوء، وقالت:

ـــ الكلمة الأخيرة...

ـــ لحضرة المقدم.

استلم محمد الملف.

قلّبه ببطء.

ثم رفع عينيه

إلى الجميع.

بلا أن يتكلم .

الصمت...

كان أشد قسوة من أي حكم.

-

تحدّث محمد مباشرة إلى هبة الله، دون أن يرفع صوته، وكأن السؤال نفسه أخطر من إجابته:

ـــ الأدلة تشير إلى استغلال مازن للموقف...

ـــ لكن السؤال الحقيقي:

ـــ هل كان من مصلحة مازن موت أحمد الآن؟

ـــ بعد أن أوقف أحمد كل مخططاته؟

ـــ أم موته بعد تنفيذها،

ـــ وبعد حصوله على عمولته،

ـــ ودفن أمر العقد معه إلى الأبد؟

سكت قليلًا، ثم التفت ببطء إلى أسامة.

ـــ سيد أسامة...

ـــ قلتَ إنك سمعت الحوار.

ـــ هل تتكرم وتذكر لنا ما سمعته تحديدًا؟

بلع أسامة ريقه وقال بصوتٍ منخفض:

ـــ نعم...

ـــ سمعت مازن ينفعل عليه.

ـــ قال له: لقد أكلتَ وجبة دسمة في الحفل، هذا خطأ، كان عليك الانتظار.

رفع محمد حاجبه:

ـــ وماذا رد أحمد؟

ـــ قال: هذا مختلف.

ساد الصمت.

ابتسم محمد ابتسامة قصيرة، باردة.

— لكنك...

— لم تسمع أحمد يقول إنه أخذ الدواء في الحفل.

— أليس كذلك؟

تردّد أسامة، ثم قال:

— لا...

— هذا لم أسمعه.

هنا تغيّر وجه محمد.

— إذن...

— نقطة شهادة أسامة تقتصر فقط على ما أراد مازن أن يُسمَع.

— اعتراض.

— توبيخ.

— رفض ظاهري.

تقدّم خطوة.

— ليبدو أمام الجميع أنه حذّر...

— وأنه بريء.

سكت، ثم قال ببطء مقصود:

— الحقيقة...

— أن العلاج لم يُؤخذ في الحفل أصلًا.

— أُخذ في المنزل...

— وفي موعده الصحيح.

اضطربت الوجوه.

— هذا مثبت في التقرير الطبي الثاني.

توقّف لحظة، ثم أضاف:

— أعتذر...

— لم أخبركم أن التحقيقات فُتحت من جديد.

— طُلب تقرير إضافي.

— أُخذت عيّنة من الدواء.

— ورُفعت البصمات على علبة العلاج مرة أخرى.

— مجرد تأكيدات أمنية...

— لكنها قادتنا إلى نقطة واحدة.

رفع عينيه ببطء.

— من أعطى الدواء لأحمد...

— قبل حضور أسامة...

— كان السيد جمال.

تجمّدت الأنفاس.

ـــ ظهرت بصماته...

ـــ على الحقيبة التي كان بداخلها الدواء.

انكمش جمال في مقعده.

تغيّر المشهد.

فلاش باك – هبة الله

صوتها يتردّد:

ـــ هذا علاج أحمد؟

ابتسامة ملك الحزينة:

ـــ نعم...

ـــ لكن له حقيبة خاصة به.

ـــ لا يتخلف عنها أبدًا.

ـــ الجرعة لها موعد ثابت،

ـــ ولو تأخرت قد تحدث تبعات خطيرة.

ـــ أحمد يحتفظ بها بنفسه...

ـــ هذه طريقته.

عاد صوت محمد.

ـــ ذلك الكيس...

ـــ أعطاه جمال لأحمد.

ـــ أليس كذلك، سيد جمال؟

نظر إلى ملك.

ـــ تلك العلبة لم تكن الأخيرة...

ـــ كما قلتِ، يا سيدة ملك.

صمت ثقيل.

قال محمد:

ـــ لحظات...

ـــ سأعرض لكم بعض اللقطات.

أضاءت الشاشة الصغيرة.

صور من الحفل.

أحمد يتحدث مع جمال.

ثم خروج جمال.

عشر دقائق تمر.

عودة جمال...

يحمل كيسًا جديدًا.

نفس الدواء.

نفس العبوة.

انخفض صوت محمد:

ـــ أخفيتِ العلبة الجديدة...

ـــ ووضعتِ علبة فارغة من علب أحمد القديمة.

ـــ قبل الإبلاغ عن الوفاة.

ـــ لتُبعدي الاتهام عن أخيك.

ارتجفت ملك.

ـــ جمال...

ـــ هو من أعطى الدواء لأحمد.

ـــ أمام مازن.

سكت لحظة.

ـــ وهنا...

ـــ تأكد مازن أن جمال نفّذ وعده.

ـــ إن أصرّ... لا بد أن يُقتل.

ـــ فترك الأمر يمر.

ـــ وحمى نفسه بادّعاء الاعتراض.

— وجعل من أسامة شاهد براءته...

— بتذكيره بموقف لم يكن كاملًا.

تجمّد جمال تمامًا.

لم ينطق.

انفجرت ملك بالبكاء.

وقف فيصل فجأة، صوته يرتعش:

— لم أكن أعلم...

— لم أكن أعلم أنكم بهذا السوء.

— حتى أنا...

— أعطيتكم فرصة أخرى.

أشار محمد بيده بهدوء حازم:

— دكتور فيصل...

— من فضلك.

— الصورة لم تكتمل بعد.

ثم أضاف بصوت بطيء، ثقيل:

— القضية ما زال بها بعض النقص...

— وقبل أن تنتهي،

— يجب أن نعرف...

سكت.

نظرات متقاطعة.

خوف يتصاعد.

— هل كان مازن قاتلًا بلا يد؟

— أم شاهدًا انتظر الموت؟

— أم أن جمال...

— وبحماية ملك...

— كانا الفاعلين الحقيقيين؟

الصمت سقط كحكمٍ مؤجَّل.

—

الفصل التاسع :

وقف محمد مرّةً أخرى.

ابتعد عن المكتب خطوةً خطوة، كأنّه يترك خلفه كلّ ما قيل، واتّجه نحو الشاشة المعلّقة على الجدار.

أضاءت الغرفة بنورٍ بارد.

قال بصوتٍ منخفض، ثابت:

ـــ فلنشاهد معًا...

ـــ حتى نتأكّد أن القصّة كاملة.

ضغط زرّ العرض.

ظهرت صور الحفل.

لقطات متتابعة...

تحرّكات مازن بين الضيوف.

خروجه المتكرر.

عودته السريعة.

ثم تحرّكات جمال.

اقترابه من أحمد.

ابتعاده.

اختفاؤه لدقائق.

عودته من جديد.

لم يتكلّم أحد.

انتقلت الصور ببطء.

أحمد مع فيصل.

ابتسامة قصيرة.

حديث جانبي.

ثم صورة أخرى...

وأخرى.

وفجأة...

توقّف العرض.

ثبتت صورة واحدة على الشاشة.

قال محمد بهدوءٍ مقلق:

ـــ هنا.

ساد صمت خانق.

ـــ هذه...

ـــ رسالة أحمد.

تنفّس بعمق، ثم أكمل:

ـــ أُرسلت قبل موته بلحظات.

ـــ رسالة واحدة.

ـــ لقطة شاشة...

ـــ قبل أن تُحذف.

تحرّك قليلًا وقال:

ـــ هاتف أحمد كان مضبوطًا على الحذف التلقائي لرسائل الواتساب.

ـــ لكنه...

ـــ التقط هذه الصورة.

رفع نظره إليهم:

ـــ أحمد...

ـــ كان يعلم من هو القاتل.

اقترب بعضهم من الشاشة.

تجمّد البعض في أماكنهم.

ـــ الرسالة واضحة.

ـــ والصورة المشتركة فيها...

ـــ أوضح.

دقّق الجميع.

عيون تتحرّك.

أنفاس محبوسة.

مازن...

تصلّبت ملامحه.

جمال...

اتّسعت عيناه.

نظرته سقطت على الأرض، ثم ارتفعت ببطء نحو الشاشة.

الصورة...

تنطق باسمه.

بكت ملك بصوتٍ مكتوم.

يدها على فمها.

كتفاها يهتزان.

جمال تسَمّر.

لم يتحرّك.

لم ينطق.

قال محمد أخيرًا، كأنّه يقطع شكًّا أخيرًا:

— الكلّ الآن...

— تأكّد.

صمت.

— الكلّ رأى أن جمال...

— هو المقصود في الصورة.

نظر إليهم واحدًا واحدًا.

ـــ وبعد كلّ هذه الملابسات...

ـــ تأكّدتم أن مازن وجمال...

ـــ وقعا في الفخ الذي نسجاه بأيديهما.

لم يعترض أحد.

لم يُنكر أحد.

كان الصمت هذه المرّة...

صمت موافقة.

صمت اعتراف غير منطوق.

والصورة...

ما زالت معلّقة.

تشهد.

-

الفصل التاسع :

وقف محمد مرّةً أخرى.

ابتعد عن المكتب خطوةً خطوة، كأنّه يترك خلفه كلّ ما قيل، واتّجه نحو الشاشة المعلّقة على الجدار.

أضاءت الغرفة بنورٍ بارد.

قال بصوتٍ منخفض، ثابت:

ـــ فلنشاهد معًا...

ـــ حتى نتأكّد أن القصّة كاملة.

ضغط زرّ العرض.

ظهرت صور الحفل.

لقطات متتابعة...

تحرّكات مازن بين الضيوف.

خروجه المتكرر.

عودته السريعة.

ثم تحرّكات جمال.

اقترابه من أحمد.

ابتعاده.

اختفاؤه لدقائق.

عودته من جديد.

لم يتكلّم أحد.

انتقلت الصور ببطء.

أحمد مع فيصل.

ابتسامة قصيرة.

حديث جانبي.

ثم صورة أخرى...

وأخرى.

وفجأة...

توقّف العرض.

ثبتت صورة واحدة على الشاشة.

قال محمد بهدوءٍ مقلق:

— هنا.

ساد صمت خانق.

— هذه...

— رسالة أحمد.

تنفّس بعمق، ثم أكمل:

— أُرسلت قبل موته بلحظات.

— رسالة واحدة.

— لقطة شاشة...

— قبل أن تُحذف.

تحرّك قليلًا وقال:

ـــ هاتف أحمد كان مضبوطًا على الحذف التلقائي لرسائل الواتساب.

ـــ لكنه...

ـــ التقط هذه الصورة.

رفع نظره إليهم:

ـــ أحمد...

ـــ كان يعلم من هو القاتل.

اقترب بعضهم من الشاشة.

تجمّد البعض في أماكنهم.

ـــ الرسالة واضحة.

ـــ والصورة المشتركة فيها...

ـــ أوضح.

دقّق الجميع.

عيون تتحرّك.

أنفاس محبوسة.

مازن...

تصلّبت ملامحه.

جمال...

اتّسعت عيناه.

نظرته سقطت على الأرض، ثم ارتفعت ببطء نحو الشاشة.

الصورة...

تنطق باسمه.

بكت ملك بصوتٍ مكتوم.

يدها على فمها.

كتفاها يهتزان.

جمال تسَمّر.

لم يتحرّك.

لم ينطق.

قال محمد أخيرًا، كأنّه يقطع شكًّا أخيرًا:

— الكلّ الآن...

— تأكّد.

صمت.

— الكلّ رأى أن جمال...

— هو المقصود في الصورة.

نظر إليهم واحدًا واحدًا.

ـــ وبعد كلّ هذه الملابسات...

ـــ تأكّدتم أن مازن وجمال...

ـــ وقعا في الفخ الذي نسجاه بأيديهما.

لم يعترض أحد.

لم يُنكر أحد.

كان الصمت هذه المرّة...

صمت موافقة.

صمت اعتراف غير منطوق.

والصورة...

ما زالت معلّقة.

تشهد.

-

الفصل التاسع :

وقف محمد مرّةً أخرى.
ابتعد عن المكتب خطوةً خطوة، كأنّه يترك خلفه كلّ ما قيل، واتّجه نحو الشاشة المعلّقة على الجدار.
أضاءت الغرفة بنورٍ بارد.

قال بصوتٍ منخفض، ثابت:

ـــ فلنشاهد معًا...
ـــ حتى نتأكّد أن القصّة كاملة.

ضغط زرّ العرض.

ظهرت صور الحفل.
لقطات متتابعة...
تحرّكات مازن بين الضيوف.
خروجه المتكرر.
عودته السريعة.

ثم تحرّكات جمال.
اقترابه من أحمد.
ابتعاده.
اختفاؤه لدقائق.
عودته من جديد.

لم يتكلّم أحد.

انتقلت الصور ببطء.
أحمد مع فيصل.
ابتسامة قصيرة.
حديث جانبي.
ثم صورة أخرى...
وأخرى.

وفجأة...
توقّف العرض.

ثبتت صورة واحدة على الشاشة.

قال محمد بهدوءٍ مقلق:

ـــ هنا.

ساد صمت خانق.

ـــ هذه...
ـــ رسالة أحمد.

تنفّس بعمق، ثم أكمل:

ـــ أُرسلت قبل موته بلحظات.
ـــ رسالة واحدة.
ـــ لقطة شاشة...
ـــ قبل أن تُحذف.

تحرّك قليلًا وقال:

ـــ هاتف أحمد كان مضبوطًا على الحذف التلقائي لرسائل الواتساب.
ـــ لكنه...
ـــ التقط هذه الصورة.

رفع نظره إليهم:

ـــ أحمد...
ـــ كان يعلم من هو القاتل.

اقترب بعضهم من الشاشة.
تجمّد البعض في أماكنهم.

ـــ الرسالة واضحة.
ـــ والصورة المشتركة فيها...
ـــ أوضح.

دقّق الجميع.

عيون تتحرّك.
أنفاس محبوسة.

مازن...
تصلّبت ملامحه.

جمال...
اتّسعت عيناه.
نظرته سقطت على الأرض، ثم ارتفعت ببطء نحو الشاشة.

الصورة...
تنطق باسمه.

بكت ملك بصوتٍ مكتوم.
يدها على فمها.
كتفاها يهتزان.

جمال تسَمّر.
لم يتحرّك.
لم ينطق.

قال محمد أخيرًا، كأنّه يقطع شكًّا أخيرًا:

ـــ الكلّ الآن...

ـــ تأكّد.

صمت.

ـــ الكلّ رأى أن جمال...
ـــ هو المقصود في الصورة.

نظر إليهم واحدًا واحدًا.

ـــ وبعد كلّ هذه الملابسات...
ـــ تأكّدتم أن مازن وجمال...
ـــ وقعا في الفخ الذي نسجاه بأيديهما.

لم يعترض أحد.
لم يُنكر أحد.

كان الصمت هذه المرّة...
صمت موافقة.

صمت اعتراف غير منطوق.
والصورة...
ما زالت معلّقة.
تشهد.
-

تنفّس محمد بعمق، ثم قال بهدوءٍ مُتعب:

ـــ هكذا...
ـــ كلّ شيء صار بسيطًا.

رفع يده إشارةً خفيفة:

— عليكم أن تهدؤوا.
— سنراجع الصور مرّةً أخرى...
— لكن بطريقة مختلفة.

أدار العرض من جديد.

— انظروا هنا...
— هذا أحمد، بيده كوب المشروب.

توقّف قليلًا، ثم أعاد اللقطة إلى الخلف.

— نُعيد ثانية...
— تحرّك أحمد...
— شرب الكوب...

قرّب الصورة أكثر.

— هل لاحظتم؟
— هنا...
— أحمد يبلع شيئًا.

سحب نفسًا قصيرًا:

— هناك شيء في يده.
— الدواء.

ساد الصمت.

أعاد المقطع.

— نرجع قليلًا...

تجمّد فيصل في مكانه.
بدأ العرق يظهر على جبينه.

قال محمد بصوتٍ منخفض لكنه قاطع:

— هذا أحمد...
— مع السيد فيصل.

ضغط زر الإيقاف.

— هو من ناوله الشراب.
— وهو من ناوله الدواء.

اقترب خطوة:

— هل لاحظتم القفازات؟

تبدّلت الوجوه.

— كان يرتدي قفازات.
— حتى أثناء التقاط الصورة.

أشار بيده:

— ليمحو أثر بصماته من كلّ شيء.

ثم انتقل إلى صورة أخرى.

— هنا...

ـــ قبل مغادرته.

سكت لحظة.

ـــ لا قفازات.

نظر إليهم جميعًا:

ـــ أراد ألّا يترك أثرًا...
ـــ لكنه نسي شيئًا في خطته الذكيّة.

مدّ يده وأخرج كيسًا شفافًا، بداخله علبة دواء ممزّقة.

ـــ هذه العلبة...
ـــ هي التي أعطاها لأحمد.

ثم أكمل ببرود:

ـــ أُلقيت في قمامة الفندق.

تحرّك ببطء:

ـــ السيد فيصل نسي أن الفندق...
ـــ مملوك لأخيه أحمد.

توقّف:

ـــ وعندما توفّي أحمد...
ـــ تعطّل العمل في الفندق لأكثر من أسبوع.

رفع نظره:

ـــ كلّ شيء بقي في مكانه.

اقترب من المكتب:

ـــ عندما زرت الفندق كضيف...
ـــ وقد علمت ذلك...
ـــ تقدّمت بطلب رسمي للنيابة.

تنفّس:

ـــ النيابة فحصت المكان.
ـــ راجعت الكاميرات كاملة.
ـــ جمعت الشهادات.

سكت لحظة:

ـــ ومن هنا...
ـــ فُتح التحقيق من جديد.

نظر إلى مازن:

ـــ مازن بقي هنا...
ـــ لأنكم كنتم مطمئنين.

ثم إلى جمال وملك:

ـــ إلا أنتما...
ـــ ظننتم أن أحمد مات بسبب جمال.

توقّف:

— لأن جمال...
— هو من أعطاه الدواء الأوّل.
— وبصماته كانت موجودة.

خفض صوته:

— وملك كانت تعلم...
— أن جمال تحدّث عن موت أحمد.

أشار بيده ببطء:

— لكن الحقيقة...
— أن الدواء الذي أعطاه فيصل...
— تفاعل مع علاج أحمد الأساسي.

تنفّس محمد:

— التقرير الطبي الثاني أوضح...
— أن التفاعل لا يظهر فورًا.
— بل ينشّط المادة الأساسية بشكل خاطئ.

نظر إلى فيصل مباشرة:

— فتظهر الوفاة كأنها طبيعية...
— ثم تنكشف في التحاليل لاحقًا.

سكت.

— تلك...
— كانت خطة الدكتور فيصل.

تحرّك أمام الشاشة:

ـــ الصور والفيديوهات أوضحت تحرّكاتك.
ـــ حديثك.
ـــ تنظيمك.

نظر إليه بحدّة:

ـــ أنت من مهّد للحفل.
ـــ وأنت من أقنعت أحمد في البداية.
ـــ وأنت من كشفت له الأوراق لاحقًا...
ـــ فوضعتَه في أضعف حالاته.

صمت ثقيل.

ثم قال محمد ببطء:

ـــ لكن...
ـــ كيف أشار أحمد إليك في رسالته؟

ضغط زرّ العرض.

ـــ هذه الصورة...
ـــ التقطها أحمد بنفسه.
ـــ كان يخبرنا من هو القاتل.
سكت الجميع.

ـــ كان يقول هو
ـــ هو الوحيد...
ـــ غير الموجود في الصورة.

— هو من التقط هذه الصورة.
اقترب محمد خطوة:

— أخوك...
— هو من أشار إلينا.
— كدليل فى محادثه لايعلمها الا انت ايضا اتذكر؟.

خفض صوته:
— هو من كشف كلّ شيء.

نظر إلى فيصل:

— بصماتك على ما عُثر عليه في الفندق.
— أقوال العاملين المسجّلة رسميًا.
— المواجهة ستتم أمام النيابة.

تنفّس:

— الجميع حضر الحفل بدعوة منك.
— لا من مازن.

ثم قال بهدوء قاتل:

— مازن بطمعه...
— وجمال بضعف شخصيته...
— قبلا أن يحملهما عنك كلّ شيء.
— حتى ملك بضعفها امام اخيها شاركت
فى تأكيد روايته بتنازلها عندما علمت بعلم فيصل
لكنها لم تجرأ الا على التنازل دون حجج وهو اراد ذالك وساعدته.
تجمّد المكان.

نظرت هبة الله إلى فيصل بذهولٍ بارد.

قال محمد:

— من أعاد فتح القضية أول مرة...
— كان فيصل.

توقّف:

— ليُثبت أنها وفاة طبيعية.
— وإن انكشفت...
— تسير كما خطّط.
— ويتهم من مهد اهم الطريق.
نظر إليه:

— فيتنازل الجميع الحاضرون هنا عن حقوقهم...
— خوفًا من الاتهام.

قال فيصل بصوتٍ مكسور:

— أخي أخذ مني كلّ شيء...
— لم يترك لي ميراثًا.
—قال لى انت مستهتر غير مؤهل لتأخذ هذا المال
— قال لي: عندما تصبح طبيبًا كبيرًا...
— ستحصل على مالك.
— الجميع علم قبل وفاه ولدى حصل على توكيل منه باداره التركه .
— باع لنفسه كل شئ قبل وفاه والدى .
— اخبرنى انه ان لم يعطنى فهذا حقه لانى ليس لدى عنده شئ.
— سالته اكثر من مره لقد تغيرت واجتهد متى استحق ؟.
— قال أنا من يحدّد...
— لا أنت ليس الآن .

تدخّلت ملك باكية:

ـــ أحمد كان يحتفظ بملف كامل...
ـــ بكلّ ما يملك.
ـــ وبحق فيصل.
ـــ وكان سيُعيده له قانونيًا.

قال فيصل بصوتٍ خافت:

ـــ انتهى كلّ شيء...
ـــ الآن المال لابنه.

أشار محمد للحرس.

ـــ تحفّظوا عليهم.

تم التحفّظ على فيصل...
وجمال...
ومازن.

***

بعد انتهاء المحاكمة،
جلست هبة الله مع محمد في مكتبه.
فحدث استرجاع لكل الإتفاقات بينهم.
فلاش باك سريع:
لقاءات فى اوقات مختلفه وحديث يدور دائما بينهم.

هبه الله :
ـــفيصل... لم يبكِ كالباقين.دموعه كانت حاضرة، نعم، لكن بلا ارتباك.

كأنها خرجت في التوقيت المناسب.

رفع محمد رأسه.
ـــ لاحظتِ ذلك؟

هزّت رأسها.
ـــوسأل عن التقرير الطبي أكثر من مرة.
ليس سؤال قلق... سؤال طبيب يبحث عن تأكيد.

صمتت لحظة، ثم أضافت:
ـــتحدث عن الموت كرحمة.بطريقة باردة... منظمة.

ـــ

قطع محمد الصمت:
ـــالحاج رضا قال لي شيئًا مشابهًا.قال إن فيصل زاره بعد الحفل،وسأل عن تفاصيل لا تخصه.

تنفست هبة بعمق.
ـــوأسامة... فيصل طلب منه الصمت.
قال له:
ـــالحديث يضر بسمعة العائلة.»

ـــ

أخرج محمد صورة.
ـــ وهنا؟

اقتربت هبة.
-تفقد علبة الدواء بعناية مبالغ فيها.
كأنه يراجع تركيبة، لا اسمًا.

ابتسم محمد بمرارة.
ـــوسأل مازن أسئلة طبية دقيقة.أكثر مما يحتمل فضول أخ.

ـــ

ترددت هبة قبل أن تقول:
-كان ينظر إلى الصور... ليس بحثًا عن جمال أو مازن
بل يركز على مكانٍ واحد.

-غيابه. قالها محمد.

ـــ

أغلقت هبة الملف.
ـــ بعد الوفاة... سيطر على الشركة بسرعة مريبة.
كأنه كان ينتظر الإشارة.

أومأ محمد.
وعزل مازن بقسوة, ليس عقابًا... بل احتياطًا.

ـــ

تذكرت هبة شيئًا آخر.
ملك علمت بشئ:
ـــ فيصل وجد ملفات جمال.
وهدد بكشفها إن لم تُسلّم له الشركة.

رفعت هبة عينيها.
ـــ وفيصل يعرف أي خيط سيُسحب.

ساد الصمت.

قال محمد أخيرًا:
-منذ البداية...فيصل كان سؤاله ليس : من القاتل؟
بل كان يتأكد أن أحد لايسال عنه.

رفع محمد لقطة الشاشة الأخيرة.
نعم ياسيد احمد.
ـــهو
-
ثم قالت هبة الله وهي تُعيد ترتيب الملف أمامها:
ـــ تبقّى أمر أخير، رأيت أن تعرفه.

رفع محمد بصره إليها في صمت.
ـــ تفضّلي.

قالت:
ـــملك أنهت الصلح مع الحاج رضا.
سلّمته كامل تعويضاته، ووقّع تنازلًا نهائيًا.
وبعد ذلك... اعتزل هذا المجال تمامًا.
رفض أي شراكة، واختار الابتعاد.

أومأ محمد ببطء، كأنّه كان يتوقّع ذلك.

تابعت هبة:
ـــأما مازن، فقد حاول الاعتذار بعد خروجه.
ملك رفضت مقابلته.
غادر البلاد، ولم يعد.

ساد صمت قصير، ثم قالت:
ـــ جمال قدّم استقالته.

لم تُبرّئه ملك
لكنها ساعدته بمالٍ محدود
ليبدأ مشروعًا خاصًا بعيدًا عنهم.»

سأل محمد بهدوء:
ـــ وأسامة؟.

أجابت:
ـــعاد شريكًا في المصنع، بنسبة أقل.
هذه المرة التزم بالعمل، وتغيّر أسلوبه تمامًا.

-
محمد يغلق الملف، ينظر إلى صورة أحمد على مكتبه.
هبة:
ـــهل شعرت أنك أنصفت أحمد؟
محمد
ـــالعدالة أخذت مجراها... هل تعتقدى أن الأسرة دُمرت؟.
هبة
ـــأحياناً... الحقيقة كالجراحة، تُؤلم لتُشفِي، ولو بعد حين.
ـــ ينظران من النافذة، المدينة تمضي.

- وتبقى لقطة الشاشة شاهدةً على أن بعض الغيابات تكون أبلغ حضوراً.

النهاية.